

شَرْحُ

عَقِيدَةِ الْأَمَلِ الْمَجِيدِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الرَّاسِي

الشَّيْخُ

لَفْظِيَّةُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

الدُّكْتُورِ صَاحِبِ قُورَانِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُورَانِ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَوْ لَا تَوْفِيقُهُ لَمْ يَكُنِ السَّامِعُ

اِمْتَنَعَتْ بِهِ وَأَسْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عَثْمَانِ الْمُجَاهِدِ السُّوُلَيْمِ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَوْ لَا تَوْفِيقُهُ لَمْ يَكُنِ السَّامِعُ

مَكْتَبَةُ الْأَمَلِ الدَّهْيِي

الْكُتَيْبِ

الْبَرَاءَةُ الدَّهْيِي

الرِّيَاضِ

شَرْحُ

عَقِيدَةِ الْأَمَلِ الْمَجِيدِ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الرَّاسِي

شَجُّ
عَفِيَّةَ الْأَمِّ لِلْحَجَّةِ
مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابٍ رَضِيَ اللَّهُ

③ مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع، ١٤٤٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المجله، سلمان بن جابر بن عثمان

شرح عقيدة الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب./

سلمان بن جابر بن عثمان المجله. - الرياض، ١٤٤٠ هـ

ص: .. سم

ردمك: ٧-٨-٩١٢٦٢-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ. العنوان

١٤٤٠/١٠٠٤٨

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١٠٠٤٨

ردمك: ٧-٨-٩١٢٦٢-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

(١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م)



مكتبة الامام الذهبي للنشر والتوزيع

الفرع الرئيسي: حولي - شارع المنى - مجمع البدر - ت. ٢٢٦٥٧٨٠٦

فرع المصاحف: ت ٢٢٦١٥٠٤٦ - فرع الجواهر: الناصر مول، تلفون: ٩٥٥٥٨٦٠٨

فرع الفحيحيل: البرج الأخضر - شارع الديوس - تلفون: ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧

فرع الرياض: الملكة العربية السعودية التراث الذهبي - جوال ٠٠٩٦٦٥٥٧٦٥١٣٨

الخط الساخن: جوال: ٠٠٩٦٥ ٩٤٤٠٥٥٥٩

z.zahby74@yahoo.com Imamzahby

شَرْحُ
عَقِيدَةِ الْإِسْلَامِ الْمُجْتَمَدِ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ

الشَّرْحُ
لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ
الدَّكْتُورِ صَاحِبِ بْنِ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَطَبِيعِ السَّامِعِينَ

اعْتَمَدَ بِهِ وَأَشْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ
د. سَلْمَانُ جَابِرُ عُثْمَانَ الْمُجَلِّهِمُ السُّوْلِيمِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِسَائِرِهِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه، وبعد:
فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم،
بطباعة كتابي: شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.
رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

١٤٤١/١٧
١٤٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي يقذف بالحق على الباطل، فيدمغه فإذا هو زاهق،
والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي جاء ببيان الهدى وإيضاح الحقائق،
وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى، وغيظ كل كافر ومنافق.

أما بعد: فإنه لما أشرقت دعوة التوحيد - والله الحمد - في هذه البلاد
على يد الشيخ الإمام المجدد: محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ وانقشعت غيوم
الشرك والبدع، لم يرق ذلك لأعداء الدين من الكفار والمنافقين والمبتدعة
والخرافيين، شأنهم مع دعوة الرسل في كل زمان ومكان، فراحوا يروجون
التُّهم، ويفترون الكذب على هذا الإمام وعلى دعوته، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا
نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾
[التوبة: ٣٢]، حتى إنهم شككوا في عقيدة الشيخ ونواياه إبقاءً على عقائدهم
الباطلة ونواياهم القبيحة.

فجاءت إلى الشيخ من أهالي القصيم رسالة يسألونه فيها عن عقيدته،
فأجابهم برسالة يوضح فيها عقيدته، وأنها عقيدة السلف الصالح التي جاء
بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتلقاها عنه صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وسار عليها أهل
السنة والجماعة.

وكنت قد ألقيت دروسًا في شرح هذه الرسالة سجلها الحاضرون من الطلبة جزاهم الله خيرًا، وطلبوا مني الموافقة على نشرها، فأذنت لهم بذلك لعل من قرأها يجد فيها فائدة، أو ينبهني على خطأ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

في ١٤٢٦/٢/٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا ورسولنا محمد الأمين، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

فهذا شرح شيخنا العلامة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان على رسالة الامام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ لأهل القصيم، وكان هذا الشرح في دروس ألقاها فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان ابن عبد الله الفوزان - غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين - في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز بالرياض، ابتداءً من يوم الأحد الموافق للتاسع من شهر شوال عام خمسة وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة. نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن ينفع بذلك، وأن يجزي صاحب المتن خير الجزاء، إنه سميع مجيب.

وهذه الرسالة جواب من الامام محمد بن عبد الوهاب، ردا على رسالة من أهالي منطقة القصيم يسألونه عن عقيدته، فأجابهم بهذه الرسالة الماتعة الرائعة المختصرة، يوضح فيها عقيدته المبنية على كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعلى معتقد الأئمة المعبرين أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية، فجاءت هذه

الرسالة تتناول قضايا هامة في الاعتقاد، أوضح فيها الشيخ عقيدته الصافية السنية، وكشف وحذر من العقائد الباطلة المنحرفة المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونفى عن نفسه الاتهامات الكاذبة التي كان يفترها أهل البدع عليه، وهذه الافتراءات من البهتان العظيم والكذب الرخيص الذي يستعمله أهل الضلالة في كل زمان ومكان، كما قال ربنا جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ [النحل: ١٠٥]، ونصح الشيخ المسلمين بالتثبت والتبين، والحذر من مسالك أهل البدع والزيغ والردى.

وهذه الرسالة والجواب من الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب التيمي - رحمه الله وغفر له وبارك في ذريته -، توضح حقيقة دعوة هذا الإمام المجاهد الناصح، وأنه يدعو إلى ما كان يدعو إليه نبينا ورسولنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، ونبذ الشرك والبدع، والتمسك بكتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحذر من الكفر والنفاق والجهل والظلم، وقد شرحها شيخنا العلامة / صالح الفوزان ببيان شاف وواف وكاف بأسلوب عذب راق، جعل الله ذلك في ميزان حسنات مؤلف الرسالة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفي ميزان حسنات الشارح شيخنا العلامة / صالح الفوزان أثابه الله جَلَّ وَعَلَا.

وقد طبع الكتاب على نفقة الشيخ أبي عبد الرحمن: مساعد بن علي الشايحي، والشيخ أبي وائل: محمد بن أحمد الفرحان وزوجته الكريمة، غفر الله لهم، وتقبل منهم، وجزاهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ومما يشار إليه أن طباعة هذا الكتاب، وريعه والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقفي من أموال وقفية، تقبل الله من الجميع، والله أعلم وأعظم وأحكم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عَثْمَانِ الْمُجَاهِدِ السُّوْلِيِّ

عَفَرَ اللَّهُ لَهْ وَلَوْ أَلَدَ وَلَا هِلَ بَيْتُهُ وَلَا شَاخُوهُ

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد..

فإن المسلمين في عصر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين كانت عقيدتهم معروفة معلومة، هي ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما تركهم عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانت العقيدة معروفة في عصر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين والقرون المفصلة، القرون الأربعة، وإن كان دخل في آخر هذه القرون شيء من الاختلاف وظهور الفرق؛ كالخوارج^(١)، والقدرية^(٢)،

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَحْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

(٢) القدرية هم نفاة القدر القائلون بأن العبد يخلق فعل نفسه، وليس لله فيه إرادة ولا خلق ولا مشيئة، فأنكروا عموم المشيئة والخلق. قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٤٩٣): (والقدرية نفاة القدر جعلوا خالقين مع الله تعالى؛ ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس...) اهـ. ويطلق اسم القدرية على الغلاة في القدر. انظر: الفرق بين الفرق (ص ١١٢، ٢٤١)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٨ - ٥٧)، والصفدية (١/ ٥٠)، ودراء التعارض (١/ ٣٧١ - ٣٧٤).

والشيعة^(١)، لكن كان الدين قوياً وكان الإسلام عزيزاً، وكان أهل الشر يختفون ولا يظهرون شرهم، فلما انقضت القرون المفضلة ظهرت الشرور وجاهر أهل الضلال بضلالهم، من جهمية^(٢)، ومعتزلة^(٣)، وباطنية، وشيعة، وغيرهم من الفرق الضالة كالصوفية، والقبورية، والنحل الباطلة، ولكن

(١) هم الذين شابعوا علياً عليه السلام على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو ببقية من عنده، وهم ثلاث طوائف: الغالية، والروافض، والزيدية. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٥ وما بعدها)، والملل والنحل (ص ١٤٦)، والتعريفات (ص ١٧١).

(٢) هم أتباع الجهم بن صفوان، أبي حمز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرّاً عظيماً، وهو رأس في التعطيل، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، وزعم أن القرآن مخلوق، وذهب إلى القول بأن العبد لا قدرة له أصلاً، بل فعله كحركة المرتعش أو كالريشة في مهب الريح، أو بمنزلة حركة أغصان الشجر، فالعبد عندهم مجبور على فعله، وأن الجنة والنار تفتيان بعد دخول أهلها حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى، قتله سلم بن أحوز سنة ثمان وعشرين ومئة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص ١٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٩٠).

(٣) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذاً في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلاً بمجلس الحسن، فسُموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدريّة؛ لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، وإنكارهم القدر فيها.

وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى، يجمعهم القول بنفي الصفات، والقولُ بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة؛ وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.

كان الإسلام أيضًا قويًا في عصر الدولة الأموية، وكان العلماء لهم جهدهم ومكانتهم، وكانوا يقاومون هذه الأفكار، فكان الزنادقة يُقتلون في عهد الدولة الأموية؛ كما قُتل الجعد بن درهم^(١)، وغيره لما جاهرُوا بزندقتهُم.

ثم جاءت دولة بني العباس وكان أيضًا فيها قوة، في أول الدولة قوة وللإسلام هيبة، والعلماء لهم مكانة، وكان الأشرار لا يتمكنون من إظهار شرهم بحرية، فلما جاء آخر دولة بني العباس جاء المأمون العباسي^(٢) ابن هارون الرشيد، الذي خرج على أخيه الأمين وقتله وحاز السلطة، وكان رجلًا قويًا وذكياً أيضًا وعالمًا، ولكن داخله أهل الضلال، واتخذ منهم بطانة صاروا من حوله، كابن أبي دؤاد، وبشر المريسي، فاستمالوه إلى ضلالهم وعقيدتهم، فتأثر بهم، وزينوا له ترجمة الكتب الأجنبية، وأنشأ دارًا للترجمة سموها دار الحكمة، وهي دار النقمة، وترجموا الكتب الرومية بما فيها من

= انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠ - ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٧٩١-٧٩٢).

(١) الجعد بن درهم: هو مؤسس مذهب التعطيل وأول من قال: إن الله لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا، ويقال له مروان الجعدي؛ لأنه كان مؤدبًا لمروان الحمار آخر خلفاء بني أمية. قتله خالد القسري يوم الأضحى سنة أربع وعشرين ومائة، وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، ونزل فقتله، وكان من أبرز تلاميذه الجهم بن صفوان، وبه عُرف مذهب التعطيل. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٥٠)، والكامل في التاريخ (٤/ ٤٦٦)، والنونية بشرح ابن عيسى (١/ ٥٠، ٥١).

(٢) المأمون هو: أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد، ولد سنة (١٧٠)، وتوفي سنة (٢١٨)، أمر بتعريب كتب الأوائل، ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن، وبالع في ذلك. انظر: السير (١٠/ ٢٧٢)، وتاريخ بغداد (١٠/ ١٨٣).

ضلال وشر، فجاءت العقائد الضالة من هذا الطريق لما تُرجمت هذه الكتب؛ كما ذكر الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللهُ أنه لما تُرجمت الكتب الرومية زاد الشر^(١).

وفي النهاية أقنعوه بالقول بخلق القرآن وأنه هو الحق، فاقنع بذلك، مسكوا قياده مع قوته وصلابته، فأهل الشر لا يُتْهَون بهم أبدًا، والواجب إبعادهم عن الساحة، وإلا فإنهم يدسون شرهم، ويضعف معهم القوي.

فاقنع المأمون بقولهم، وأراد حمل الناس على القول بخلق القرآن والعياذ بالله، كلام الله عَزَّجَلَّ المصدر الأول للشريعة أرادوا أن يجتثوه من الأمة، فيقولوا: إن القرآن مخلوق وليس هو كلام الله. فاقنع بهذا الرأي.

ولكن وقف الأئمة وفي مقدمتهم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، وقفوا ضد هذه الفكرة الضالة موقفًا حازمًا وأبوا أن يقولوا بخلق القرآن، وعُذِّبَ منهم من عُذِّبَ؛ كالإمام أحمد، وقُتِلَ منهم من قُتِلَ، ولكنهم صبروا ووقفوا في وجه المعتزلة، فَبَيَّنَتِ اللهُ بهم الدين وَبَيَّنَتِ بهم العقيدة الصحيحة، ودحر أهل الشر.

وتوالى بعد المأمون أخوه المعتصم بن هارون الرشيد^(٢)، ثم الواثق بن المأمون^(٣)، أخذوا هذا المنهج وأرادوا حمل الناس على القول بخلق القرآن،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/٥).

(٢) المعتصم هو: محمد بن الرشيد هارون العباسي أبو إسحاق، ولد سنة (١٨٠) هـ، امتحن الناس بخلق القرآن، ودام ذلك حتى أزاله المتوكل، مات سنة (٢٢٧).

انظر: السير (١٠/٢٩٠) والشذرات (٢/٦٣، ٦٤).

(٣) الواثق هو: الواثق بالله هارون بن محمد بن هارون أبو جعفر، بويع يوم وفاة المعتصم سنة (٢٢٧ هـ) وهو ابن سبع وثلاثين سنة وتسعة أشهر، توفي بسامراء وهو ابن سبع وثلاثين سنة وستة أشهر، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يومًا، =

وكلهم عذبوا الإمام أحمد وضربوه، ولكنه لم يُعْطَهم كلمة واحدة، بل يقول: القرآن كلام الله. وإذا قالوا له؛ قال: هاتوا لي من القرآن أو من السنة دليلاً على قولكم، فيعودون عليه بالضرب، ويُغْمَى عليه رَحْمَةُ اللَّهِ، ولكنه أبى، حتى إنه سألت دماؤه رَحْمَةُ اللَّهِ من الضرب، وغاب فكره من شدة الضرب^(١)، وصمد إلى أن جاء عصر المتوكل بن هارون الرشيد^(٢)، فَخَلَّصَ الله به أهل السنة ونصر الحق، وقمع أهل البدع، ثم قُتِلَ المتوكل، اغتاله أهل الشر^(٣).

وما زال الأمر في ضعف إلى أن جاء آخر خلفاء بني العباس واستوزر الشيعة، وهم أخبث من الجهمية، فاستوزر ابن العلقمي، ونصير الكفر الطوسي، فجروا عليه التتار المغول من المشرق الذين غزوا بلاد المسلمين واجتاحوها وقتلوا الخليفة، وأخذوا الكتب الإسلامية وألقوها في نهر دجلة،

= وكان ممن امتحن الإمام أحمد. انظر: مروج الذهب (٣/ ٤٧٧)، السير (١٠/ ٣٠٦)، وتاريخ بغداد (١٤، ١٥) قال الخطيب: (استولى أحمد بن أبي دؤاد على الواثق، وحمله على التشدد في المحنة، والدعاء إلى خلق القرآن).

وقيل: إنه رجع عن ذلك قبيل موته. اهـ، وذكر الذهبي المناظرة التي حصلت بين ابن أبي دؤاد والإمام الأذرمي في حضرة الواثق.

(١) انظر: شرح الطحاوية (ص ١٨٤) فقد ذكر المناظرة عبد العزيز الكناني لبشر المريسي بين يدي المأمون. وانظر ترجمة الإمام أحمد وقصة محنته في: البداية والنهاية (١٠/ ٣٣١ - ٣٣٥)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧ - ٣٥٨)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٧).

(٢) هو الخليفة، أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّشِيدِ هَارُونَ بْنُ الْمَهْدِيِّ بْنِ الْمُتَّصِرِ الْقُرَشِيِّ، الْعَبَّاسِيُّ، الْبَغْدَادِيُّ. وُلِدَ: سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَتَيْنِ. وَبُوعِ عِنْدَ مَوْتِ أَخِيهِ الْوَاثِقِ فِي ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ. قَالَ خَلِيفَةُ بْنُ خَيْطٍ: اسْتُخْلِفَ الْمُتَوَكِّلُ، فَأَظْهَرَ السُّنَّةَ، وَتَكَلَّمَ بِهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَتَبَ إِلَى الْأَفَاقِ بِرَفْعِ الْمِحْنَةِ، وَبَسْطِ السُّنَّةِ، وَنَصْرِ أَهْلِهَا. توفي سنة ٢٤٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠)، والأعلام للزركلي (٢/ ١٢٧).

(٣) انظر تفصيل ذلك في: البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٣ - ٣٣٥).

وقتلوا من المسلمين مئات الألوف، واجتاحوا بلاد المسلمين، وكان المسلمون يقاومونهم في كل بلد، وفي النهاية خذل الله التتار، ومنهم من أسلم.

وبقي الإسلام - والله الحمد - قويًا عزيزًا، ويقبض الله له من ينصره ويحميه ويدافع عنه، ظهر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في وقت مُدْهِمٍ، الفِرَقُ تتجاذب الناس: صوفية، وجهمية، ومعتزلة، وقبورية، وشيعة، يعيش العالم الإسلامي في أمواج من الفتن، وفي هذه الأثناء ظهر شيخ الإسلام ابن تيمية، تخرج على كتب السلف الصالح النقية، ودرس الكتب الضالة والمنحرفة وعرف الشبه التي بُنيت عليها، وقام يدعو إلى الله عَزَّجَلَّ ويؤلف الكتب ويُدرس، فنُفي وسُجن، لكنه لم يُثْنِ ذلك عن الجهاد: الجهاد بالسيف فخاض المعارك وقاتل بالسيف، والجهاد بالقلم، والجهاد باللسان والحجة، حتى قبض الله له طلابًا حملوا علمه؛ كابن القيم، وابن كثير، والذهبي، وغيرهم من الأئمة الكبار، فانتشرت الدعوة، وبزغ فجر الدعوة والتجديد في دين الإسلام، والرد على الشبه وعلى الضلالات من شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته رحمهم الله تعالى.

ثم جاءت حقبة متوالية ضعف فيها مذهب أهل السنة وكثرت البدع وانتشرت الضلالات، بعد عصر شيخ الإسلام وتلاميذه، جاء عصر الركود وعصر الجمود وعصر التقليد الأعمى، وبلاد نجد ما كانت تُذكر، بل مغفول عنها، تُعتبر بادية أو شبه بادية، قرى ومزارع وبادية، ليس فيها مطمع لأحد، وكل بلدة عليها أمير يحكمها مستقل بها عن الآخر، فأمر عرق لا يخضع لأمر الدرعية مع ما بينهما من التقارب، كل واحدة تعتبر مملكة مستقلة.

وكان علماء الحنابلة في نجد معنيين بالفقه، يدونون الفقه ويحررونه ويؤلفون فيه وينسخونه ويدرسونه، أما في العقيدة فكانوا على عقيدة الأشاعرة وعقيدة الماتريدية، وعندهم تصوف وعندهم بدع، وعندهم ما عند البلاد الأخرى، بل يزدون بكثرة الجهل بينهم في باديتهم وفي قراهم، نعم كان في القرى علماء لكنهم علماء فقه فقط، وكانوا يذهبون إلى الشام يتعلمون على علماء الشام الحنابلة، ويحملون عنهم الكتب والفقه في مذهب الإمام أحمد.

وهذا خيرٌ كثير لكن العقيدة ليس لهم بها اهتمام، الناس كلُّ على ما هو عليه، من صوفية وقبورية وشر، والسحرة لهم نشاط، والكهان لهم نشاط، والقبائل تحكم بالأعراف القبلية، وهكذا.

وفي هذه الأثناء أظهر الله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وأعطاه الله من الذكاء والفطنة ما جعله يدرك ما عليه الناس، فكان من صغره يقرأ ويلاحظ ويطلع في كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم، ويقرأ في كتب السلف، هو وحده فقط، ثم إنه لم يكتف ببلده، فسافر إلى البلاد الأخرى، سافر إلى مكة حاجًّا وأخذ عن علمائها، وسافر إلى المدينة زائرًا للمسجد النبوي وأخذ عن علمائها، ثم سافر إلى الأحساء وأخذ عن علمائها، ثم سافر إلى العراق، وقصد إلى البصرة، ولقي فيها من العلماء مَنْ لقي، وتعلم منهم وتعلم منهم ونسخ من الكتب، ثم أراد أن يسافر إلى الشام ولكن لم يتيسر له ذلك، ثم رجع إلى بلاده وكان حزيناً وأسفًا مما عليه الناس، ولم يسعه السكوت على ما عليه الناس كما وسع علماء زمانه، فبدأ بالدعوة على بصيرة وهدى.

يُطَبِّعُ لَهُ الْمَقَامَ فِيهَا فَرَحَلَ إِلَى الْعَيْنِيَّةِ وَكَانَتْ تَحْتَ إِمْرَةِ ابْنِ مَعْمَرٍ، وَعَرَضَ عَلَى أَمِيرِهَا هَذِهِ الدَّعْوَةَ فَتَقَبَّلَهَا الْأَمِيرُ، وَنَاصَرَ الشَّيْخَ وَقَامَتِ الدَّعْوَةُ، وَبَدَأَ الشَّيْخُ بِتَغْيِيرِ الْمُنْكَرَاتِ، فَهَدَمَ الْقُبَّةَ الَّتِي عَلَى قَبْرِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْعَيْنِيَّةِ الَّتِي كَانَ النَّاسُ يَقْصِدُونَهَا، وَأَقَامَ حَدَّ الزِّنَا، فَجَرَمَ الزَّانِيَةَ الَّتِي اعْتَرَفَتْ.

فَلَمَّا بَلَغَ أَمِيرُ الْأَحْسَاءِ ابْنُ عَرِيْعَرِ الْخَالِدِي غَضَبَ عَلَى ابْنِ مَعْمَرٍ، وَتَهَدَّدَهُ بِأَنْ يَقْطَعَ مَا يَعْطِيهِ مِنَ الْمَرْتَبِ إِنْ لَمْ يَطْرُدْ هَذَا الْمَطْوُوعَ مِنْ بَلَدِهِ، فَابْنُ مَعْمَرٍ عَرَضَ عَلَى الشَّيْخِ مَا جَاءَهُ مِنَ التَّهْدِيدِ، فَالشَّيْخُ أَرَادَ أَنْ يَطْمِئِنَّهُ فَقَالَ لَهُ: مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرِّزْقِ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا يَعْطِيكَ فَلَانٌ، عَلَيْكَ أَنْ تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَكْفِيكَ مِنْ تَوَكُّلٍ عَلَيْهِ، وَيَغْنِيكَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

لَكِنِ الرَّجُلُ مَا اقْتَنَعَ وَطَلَبَ مِنَ الشَّيْخِ الْمَغَادِرَةَ، وَغَادَرَ الشَّيْخَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْعَيْنِيَّةَ، إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ؟ ذَهَبَ إِلَى الدَّرْعِيَّةِ، وَكَانَ فِيهَا الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعُودٍ، وَكَانَ الْأَمِيرُ ابْنُ سَعُودٍ مِثْلَ غَيْرِهِ مِنَ الْأُمَرَاءِ يَمْشُونَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَيَسْمَعُونَ عَنْ هَذَا الْمَطْوُوعِ الَّذِي جَاءَ لِلْعَيْنِيَّةِ وَيَأْخُذُونَ حَذَرَهُ مِنْهُ، وَلَكِنِ الشَّيْخُ ذَهَبَ إِلَى تَلْمِيزِهِ لِقَوْلِهِ ابْنُ سَوَيْلَمٍ فِي الدَّرْعِيَّةِ، وَنَزَلَ ضَيْفًا عِنْدَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ، كَانَ أَمْرُهُ خُفْيَةً.

عَلِمَتْ امْرَأَةُ الْأَمِيرِ بِقُدُومِ الشَّيْخِ، وَكَانَ قَدْ هَدَاها اللَّهُ وَسَمِعَتْ بِدَعْوَةِ الشَّيْخِ وَاقْتَنَعَتْ بِهَا، فَقَالَتْ لَزَوْجِهَا الْأَمِيرِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعُودٍ: هَذَا الْعَالَمُ الَّذِي جَاءَ إِلَى بِلَادِكَ رَزَقَ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ، فَاعْتَنَمَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَهُ غَيْرُكَ. فَمَا زَالَتْ

به حتى اقتنع بقولها، فقال: قولوا له يحيئني. فقالت: لا، إذا طلبته قال الناس: يريد أن يعذبه، أو يريد أن يقتله، لكن اذهب له أنت لكي يقدره الناس -انظر إلى حنكتها وسياستها رَحِمَهُ اللَّهُ- فذهب الأمير إلى بيت ابن سويلم، وكان ابن سويلم خائفاً على الشيخ، ولما جاء الأمير زاد خوفه، فدخل الأمير على الشيخ وسلم عليه، وعرض عليه الشيخ أمره فشرح الله صدره لهذه الدعوة وقبلها، ووعد الشيخ بأن يناصره وأن يقوم معه، وتعهدا على ذلك.

ومن ذلك الوقت قامت الدعوة في الدرعية، وجلس الشيخ للتدريس والمناصحة والكتابة، وصار الطلاب يتوافدون عليه، ووجد من يأويه وينصره، وصار يكاتب البلدان يدعوهم إلى الله، ثم إنهم كونوا الجيش للجهاد فغزوا ما حولهم من البلدان، ونصرهم الله على ما حولهم من البلدان، ودخلت تحت ولاية الأمير محمد بن سعود، فبدلاً من كونه أميراً على الدرعية فقط صار أميراً على نجد كلها، ودخلت البلاد تحت إمرته، وقام جيش الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وقامت الدعوة^(١).

في هذه الفترة أهل الشر صاروا يلبسون على الناس فيقولون: إن ابن عبد الوهاب يريد يغير دين المسلمين، وأنه جاء بدين جديد، وأنه جاء يكفر المسلمين، وأنه، وأنه.

فأهل القصيم، كتبوا له يسألونه، وهذا شيء طيب أنك لا تصدق الشائعات فتكتب للشخص تسأله، كتبوا يسألونه عن عقيدته؛ لأنها شوهت

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٣١)، وما بعدها.

عندهم، وقيل: إنه رجل خرج يريد أن يكفر الناس، ويقتل الناس، ويغير دين الناس، وقيل ما قيل.

فكتب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هذه العقيدة، لِيُبين عقيدته، وأن عقيدته هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنه ما جاء بشيء جديد، وأن ما نُسب إليه كذب، وكتب غير هذه الرسالة في ردوده الموجودة في الدرر السنية على الشبهات التي وجهت إليه، ومنها كتاب (كشف الشبهات)، أجاب عن الشبهات التي أثاروها حوله.

فهذا أصل هذه الرسالة أنها جواب عن سؤال عن عقيدته، وكان في القصيم علماء أيضاً، وكانوا على اتصال بعلماء الشام الحنابلة، فلما بلغهم خبر الشيخ وما أثير حوله كتبوا إليه يسألونه عن عقيدته، فكتب رَحِمَهُ اللهُ هذه الرسالة يُبين فيها عقيدته، وما هو عليه، ويدفع ما شُبهه ضده.

وهذه حالة الدعوة إلى الله، الذين يدعون إلى الله لا بد أن ينالهم شيء من الأذى، والتهديد، والتخويف، ولكنهم يصبرون على ذلك، ويثبتون عليه، ويجيبون عن الشبهات التي تعترض سبيلهم، وهذا مما يؤكد على أن الداعية يجب أن يكون عالماً يستطيع أن يُجيب عن الشبهات، وأن يبين الحق من الباطل، وأن يكون متسلحاً بالعلم.

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ما باشر هذه الدعوة العظيمة إلا بعد أن تأهل لها، بعد أن تعلم والتقى بالعلماء في البلاد التي سافر إليها، وقرأ الكتب، ثم بعد ذلك باشر الدعوة وهو مسلح بالعلم والحجج، فنصره الله عَزَّجَلَّ مع إخلاص النية

لله عَزَّجَلَّ، وأنه لا يريد علوًّا في الأرض ولا فسادًا، ولا مالا، ولا جاهًا، وإنما يريد وجه الله عَزَّجَلَّ، ويريد نصرة هذا الدين وبيان الحق والنصح للخلق، فهو مشفق على الخلق أن يهلكوا، وهو بينهم ولديه معرفة بالحق، فرأى أن يقوم بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرأى أنه لا يسعه رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى إلا هذا.



العقيدة وشرحها

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته إلى أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أشهد الله، ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أي أعتقد ما اعتقدته
الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة.

————— ❦ ————— الشرح ❦ —————

قوله: (أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم)، كأن هذا مأخوذاً من قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فهو يشهد الله جَلَّ وَعَلَا، ويشهد الملائكة، ويشهد العلماء على عقيدته وأنه ما جاء بشيء جديد أو بتغيير لدين الله كما يُقال عنه، وإنما جاء بالحق الصريح.

وقوله: (أي أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية) عقيدة الفرقة الناجية هي التي قال فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فَرَقَةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا مَنْ هِيَ، قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(١)، وُسِّمَتِ الناجية لأنها نجت من النار، كل هذه الفرق في النار إلا هذه الفرقة، فهي الناجية من النار، وهذه أوصافها:

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، =

أولاً: أنها الناجية.

ثانياً: أنهم أهل السنة، الذين يأخذون بالسنة، وهي طريقة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهي تعني القرآن وتعني الأحاديث الصحيحة، ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال: «مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»، ولم يأخذوا بمذهب الجهمية أو المعتزلة أو الخوارج أو غيرهم من الفرق، إنما أخذوا منهج أهل السنة المتمسكين بالسنة.

ثالثاً: (والجماعة) سموها بالجماعة؛ لأنهم مجتمعون على الحق ليس بينهم اختلاف، لا يختلفون في عقيدتهم، إنما عقيدتهم واحدة، وإن كانوا يختلفون في المسائل الفقهية والمسائل الفرعية المستنبطة، فهذا لا يضر، فالاختلاف في الفقه لا يضر؛ لأنه ناشئ عن اجتهاد، والاجتهاد يختلف، والناس ليسوا على حد سواء في ملكة الاجتهاد، أما العقيدة فإنها لا تقبل الاجتهاد، بل يجب أن تكون واحدة؛ لأنها توقيفية، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، هذه أمة واحدة لا تقبل الاختلاف، تعبد رباً واحداً، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَئِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوا﴾ [٥٢] فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿ [المؤمنون: ٥٢، ٥٣].

= وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢١٨/١) كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٣٧/٥)، والصغير (٢٩/٢) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وروي نحوه من حديث أبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، انظر: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (٤٤٧/١).

ذم الذين اختلفوا؛ لأن الاختلاف في العقيدة لا يجوز، فالله أمرهم أن يكونوا أمة واحدة فعصوه، ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ أي: كُتِبَ؛ كما قال قتادة ومجاهد^(١)، كل واحد عنده كتاب، وكل واحد عنده عقيدة، وعقيدة هذا غير عقيدة هذا، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كل يرى أنه على الحق وغيره على الباطل، لا يقول: نرجع إلى كتاب الله وسنة رسول الله كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، بل كل يقول: إنه على الحق وحده ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ومقتنع بما لديه، بل ومتعصب له، ولا يرى أن قوله عرضة للخطأ والصواب.



(١) أثر قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٤٦/٣)، والطبراني (٢٩/١٨)، وأما أثر مجاهد فأخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/١٨).

من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان
بالقدر خيره وشره.

— — — — — الشرح — — — — —

هذه أصول الإيمان وأركانها يؤمن بها الشيخ، وهي: الإيمان بالله،
وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره؛ كما في
حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحضرة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،
قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ،
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَأْقَدِرَ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١). قال العلماء: هذه أركان الإيمان.

والإيمان له أركان، وله شعب، أركانه ستة، وشعبه: «يُضْعُ وَسَبْعُونَ
- أَوْ يَضْعُ وَسِتُونَ - شُعْبَةً، أَغْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَدَى عَنِ
الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢)، فالإيمان له شعب كثيرة، وأما أركانه
- أي جوانبه التي يقوم عليها - فهي ستة أركان:

الركن الأول: الإيمان بالله، وهو الأساس، والإيمان بالله يشمل أنواع
التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.
الركن الثاني: الإيمان بالملائكة، أنهم عبادٌ من عباد الله تعالى لا يسبقونه
بالقول وهم بأمره يأترون، خلقهم الله من نور^(٣)، وهم من عالم الغيب الذين

(١) أخرجه مسلم في أول كتاب الإيمان (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٥٧) (٣٥)، واللفظ لمسلم، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٦٠) (٢٩٩٦) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».

لا نراهم، ولكن نؤمن بهم، وقد جعلهم الله أصنافاً، كل صنف من الملائكة له عمل يقوم به في هذا الكون، فمنهم الحفظة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويكتبونها: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كُنِينًا ۝ يَتَمَوَّنَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، ومنهم حملة العرش، ومنهم الموكل بالوحي وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، ومنهم الموكل بالقطر وهو ميكال، ومنهم الموكل بالموت: وهو ملك الموت، ومعه ملائكة الموت^(١)، ومنهم أصناف لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، جنود الله عَزَّ وَجَلَّ كثيرة.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على الرسل، فالله جَلَّ وَعَلَا أرسل الرسل وأنزل الكتب من عنده سبحانه، بوحيه وشرائعه وأمره ونهيه، منها التوراة، ومنها الإنجيل، ومنها الزبور، ومنها القرآن، ومنها كتب لم يذكرها الله لنا، ولكننا نؤمن بها جملة، ونؤمن بما ذكره الله باسمه مفصلاً،

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير (١١/٣٧٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/٧٠٠، ٧٠١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣١٥)، وابن أبي شيبة في العرش (ص ٨٦-٨٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «... فَمَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا إِسْرَافِيلُ، خَلَقَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَافًا قَدَمَيْهِ، لَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ سَبْعُونَ نُورًا، مَا فِيهَا نُورٌ كَانَ يَدْنُو مِنْهُ إِلَّا احْتَرَقَ، فَإِذَا أَدْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي شَيْءٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ ارْتَفَعَ ذَلِكَ اللَّوْحُ حَتَّى يَضْرِبَ جَبْهَتَهُ فَيَنْظُرُ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِي أَمْرِي بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِي مِيكَائِيلَ أَمَرُهُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِي مَلَكِ الْمَوْتِ أَمَرُهُ بِهِ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ؟ قَالَ: عَلَى الرِّيحِ وَالْجُنُودِ، فَقُلْتُ: فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ مِيكَائِيلُ؟ قَالَ: عَلَى النَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، فَقُلْتُ: فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ مَلَكُ الْمَوْتِ؟ قَالَ: قَبْضُ الْأَنْفُسِ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ هَبَطَ إِلَّا بِقِيَامِ السَّاعَةِ».

وآخرها وأعظمها القرآن العظيم الذي أعجز الثقلين - الجن والإنس - على أن يأتوا بسورة واحدة من مثله.

الركن الرابع: الإيمان بالرسول الذين أرسلهم الله بشرائعه ودينه لهداية

خلقه، الله جَلَّوَعَلَا أرسل الرسل ليبين للناس ما يضرهم وما ينفعهم، ويبين لهم دينهم، والله جَلَّوَعَلَا أقام الحجة بهم ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، أما عددهم فلا يعلمهم إلا الله، وهم كثيرون، ومنهم من سمى الله لنا في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦]، فهؤلاء ساهم الله، فنؤمن بهم بأعيانهم، ومن لم يسمه الله نؤمن به جملة.

قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، فنؤمن بهم جميعاً من سمى الله ومن لم يسم منهم، فمن كفر بنبي واحد كفر بالجميع، فلا بد من الإيمان بهم جميعاً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿[النساء: ١٥٠، ١٥١]، والله جَلَّوَعَلَا قال لنا: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة: ١٣٦﴾.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر، وهو البعث بعد الموت؛ لأن الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء، والدنيا مزرعة للآخرة، فهي دار عمل وليس فيها جزاء والآخرة دار جزاء وليس فيها عمل، لا بد من الإيمان باليوم الآخر، من لم يؤمن باليوم الآخر فهو كافر، قال تعالى: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْشَوْا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧]، أيها الإنسان تعيش في هذه الدنيا وتأكل وتشرب وتكفر وتفسق كأنه ليس أمامك بعث وحساب وجزاء، فالله جلَّ وعلا جعل الآخرة للجزاء، وهذا عدل منه سبحانه أنه لا يضيع عمل العاملين، يجازي كلًّا بعمله ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، لو لم يكن هناك بعث لصار الخلق عبثًا، والله سبحانه منزّه عن العبث.

الركن السادس: الإيمان بالقدر، والقدر هو سر الله جلَّ وعلا^(١)، والقدر هو ما قدره الله مما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، جرى القلم بالمقادير، وكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، فلا يقع شيء إلا بقدر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، فالأمر ليس عبثًا أو أنفًا، بل هي

(١) كما قال علي رضي الله عنه: «الْقَدَرُ سِرُّ اللَّهِ فَلَا تُفْشِيهِ». انظر: تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٣)، وفيض القدير (١/ ٣٤٨)، وتحفة الأحوذى (٦/ ٢٧٩)، وكما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، الذي أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٨١) قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَكَلَّمُوا فِي الْقَدَرِ فَإِنَّهُ سِرُّ اللَّهِ فَلَا تُفْشُوا لَّهُ سِرَّهُ». وانظر: تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٣)، وفيض القدير (١/ ٣٤٨)، وتحفة الأحوذى (٦/ ٢٧٧).

مقدرة من قبل ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، قوله: ﴿كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ، وقوله: ﴿قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ يعني نخلقها ونوجدتها^(١).

والإيمان بالقدر على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله جلَّ وعلا الأزلي الأبدي المحيط بكل شيء، أي: نعتقد أن الله علم كل شيء، علم ما كان وما يكون.

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة والإرادة، ما شاءه الله كان وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: مرتبة خلق الأشياء في أوقاتها المقدرة لها، كل شيء في وقته، كل شيء في حينه الذي قدره الله جلَّ وعلا.

لابد من الإيمان بهذه المراتب الأربع: مرتبة العلم، مرتبة الكتابة، مرتبة المشيئة، مرتبة الخلق والإيجاد. هذا هو الإيمان بالقضاء والقدر.



(١) انظر: مادة (ق د ر) في معجم مقاييس اللغة (٥/ ٦٢)، والنهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٢)، ولسان العرب (٥/ ٧٢)، والقاموس المحيط (ص ٥٩١). وانظر في مراتب القدر: شفاء العليل (ص ٦١)، وما بعدها، ومعارج القبول (٢/ ٢٢٥)، والقضاء والقدر لعمر الأشقر (ص ٢٩).

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل.

— — — الشرح — — —

لما ذكر أركان الإيمان بيّن ما يدخل في الركن الأول، وهو الإيمان بالله، أنه يدخل فيه الإيمان بالأسماء والصفات، فمن جحد الأسماء والصفات لم يكن مؤمناً بالله الإيمان الصحيح، وهذا رد على المعطلة الذين عطلوا أسماء الله وصفاته لأنهم لم يؤمنوا بالأسماء والصفات.

فمن الإيمان بالله الإيمان بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة (من غير تحريف ومن غير تعطيل)، التحريف: هو التغيير^(١)، أي: تغيير الألفاظ، أو تغيير المعاني، هذا هو التحريف^(٢).

تُحَرَّفُ الألفاظ بأن يُزاد فيها أو يُنقص، مثل: (استوى) قالوا: (استولى)، هذا تحريف لفظ، حيث زادوا حرفاً.

ومن تحريف المعنى: تفسير الاستواء بالاستيلاء، وتفسير اليد بالقدرة، وتفسير الوجه بالذات، هذا من تحريف كلام الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]^(٣).

(١) انظر: لسان العرب (٩/ ٤٣)، ومختار الصحاح (ص ٥٥). وانظر: مجموع الفتاوى (٦٧/ ٣)، والصواعق المرسلة (١/ ٣٥٨).

(٢) قال ابن القيم في الصواعق المرسلة (١/ ٣٥٨): (والتحريف نوعان: تحريف اللفظ: وهو تبديله، وتحريف المعنى: وهو صرف اللفظ عنه إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ). اهـ.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١١٨)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٧٧)، والدر المنثور (٢/ ٥٥٤)، وتفسير السعدي (١٨١).

قوله: (ومن غير تعطيل) التعطيل هو: جحد الأسماء والصفات وإخلاء الله منها^(١).



= قال ابن الجوزي في (زاد المسير) (٢/ ٣١٣): «وفي تحريفهم الكلم ثلاثة أقوال:

أحدها: تغيير حدود التوراة، قاله ابن عباس.

والثاني: تغيير صفة محمد ﷺ، قاله مقاتل.

والثالث: تفسيره على غير ما أنزل، قاله الزجاج. اهـ.

(١) (عَطَّلَ) الْعَيْنُ وَالطَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خُلُوٍّ وَفَرَاغٍ. نَقُولُ: عَطَّلَتِ الدَّارُ، وَدَارٌ مُعَطَّلَةٌ وَمَتَى تَرَكْتَ الْإِبِلَ بِلَا رَاعٍ فَقَدْ عَطَّلْتَ، وَكَذَلِكَ الْبَيْتُ إِذَا لَمْ تُورَدْ وَلَمْ يُسْتَقَ [مِنْهَا]. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَبِئْسَ مُعَطَّلَةٌ﴾ [الحج: ٤٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]. وَكُلُّ شَيْءٍ خَلَا مِنْ حَافِظٍ فَقَدْ عَطِّلَ. مِنْ ذَلِكَ تَعْطِيلُ الثُّغُورِ وَمَا أَشَبَّهَا. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ: الْعَطْلُ وَهُوَ الْعُطُولُ، يُقَالُ امْرَأَةٌ عَاطِلٌ، إِذَا كَانَتْ لَا حَلِيَّ لَهَا، وَالْجَمْعُ عَوَاطِلٌ. انظر: النهاية في غريب الأثر (٣/ ٢٥٧)، ولسان العرب (١١/ ٤٥٤).

وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٩٦).

بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته.

— — — — — الشرح — — — — —

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يعتقد ما دلت عليه هذه الآية؛ لأنها ميزان في جميع الأسماء والصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ في أسمائه وصفاته، وإن كانت أسماءه تشترك مع أسماء المخلوقين في ألفاظها ومعانيها لكن لاتشبهها في حقيقتها وكيفيتها، فالاشتراك في اللفظ وأصل المعنى لا يقتضي الاشتراك في الحقيقة والكيفية؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ في هذا رد على المعطلة، فنفي عن نفسه المثلية وأثبت لنفسه الأسماء والصفات، السمع والبصر، فدلَّ على أنَّ إثبات الأسماء والصفات لا يقتضي التشبيه. وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هذا فيه نفى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هذا فيه إثبات، نفى عن نفسه المثلية وأثبت لنفسه الأسماء والصفات.

وقوله: (لا أنفي عنه ما وصف به نفسه)؛ كما فعلت المعطلة.

وقوله: (لا ألحد)، الإلحاد في اللغة هو: الميل^(١)، والإلحاد في الأسماء والصفات هو: الميل بها عن مدلولها إلى مدلول باطل؛ كتفسير الوجه بالذات

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر (٤/ ٢٣٦)، ولسان العرب (٣/ ٣٨٩)، ومختار الصحاح (ص ٢٤٧).

واليد بالقدرة أو النعمة، وهكذا. هذا تحريف للكلم عن مواضعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]، ﴿يُلْحِدُونَ﴾ يعني يميلون بها إما بجحدها كما فعلت المعطلة، وإما بتشبيهها بصفات خلقه كما فعلته الممثلة، وإما بالزيادة عليها شيئاً لم يثبت الله ولا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإما بجعلها أسماءً للأصنام كاللات والعزى^(١)،.... إلى آخره.



(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «سَمَّوُا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعَزَى مِنَ الْعَزِيزِ». أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٣/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٣/٥).

ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه تعالى لا سميَّ له، ولا كفؤ، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قِيلاً وأحسن حديثاً.

— — — — — الشَّرْحُ — — — — —

هذا القسم الثاني من الضلال في أسماء الله وصفاته المثلة زادوا في الإثبات وغلوا في الإثبات، ولم يفرقوا بين صفات الله وصفات خلقه، ولا بين أسمائه وأسماء خلقه، هؤلاء مشبهة والعياذ بالله؛ ولهذا قال أهل العلم^(١): (المعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً)، فقولهم: المعطل يعبد عدماً؛ لأن الذي ليس له أسماء وصفات عدم، والممثل يعبد صنماً من البشر؛ لأنه جعل الله مثل البشر، تعالى الله عن ذلك.

فقوله: (ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه)، يعني: لا أعلم كيفيتها ولا مثليتها، وإنما هذا من علم الله جَلَّوَعَلَا، لا يعلم كيفية صفاته إلا هو، ولا يعلم كيفية ذاته إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه: ١١٠]، فالؤمنون يعلمون ربهم وأنه هو ربهم وخالقهم، ويعلمون وجوده وكماله، لكن لا يحيطون به.

وقوله: (لا سمي له)، يعني: لا أحد يستحق اسمه على الحقيقة، وليس معنى (لا سمي له) لا أحد يُسمى باسمه؛ لأنه يُسمى المخلوق العزيز، والملك،

(١) انظر: الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٤٠٦)، ومجموع الفتاوى (١٩٦/٥)، والصواعق المرسلة لابن القيم (١/١٤٨).

يُسمى المخلوق بما يوافق اسم الخالق في الحروف والمعنى، لكن لا يوافقه في الكيفية، فمعنى (لا سمي له) يعني: لا أحد يستحق اسمه على الحقيقة؛ كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرِّ لِعَبْدَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي لا أحد يساوي الله جَلَّ وَعَلَا في أسمائه وصفاته.

وقوله: (ولا كفؤ)؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، أي لا أحد يكافيه سبحانه ويساويه جَلَّ وَعَلَا.

وقوله: (ولا ند له)، الند: هو المثل أيضا، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ جمع ند، وهو المثل^(١)، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، فالذين عبدوا الأصنام جعلوها أندادا لله مشابهة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإلا لماذا عبدوها معه؟ ولهذا يوم القيامة يقولون: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٩٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، يعترفون أنهم ساووههم برب العالمين في الدنيا فاستحقوا النار يوم القيامة من باب التحسر. قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، ﴿يَعْدِلُونَ﴾ يعني: يساوون به غيره من المخلوقين.

وقوله: (ولا يقاس بخلقه) فهو سبحانه لا يقاس بخلقه في أسمائه وصفاته، فالأسماء والصفات وإن كانت تشترك في اللفظ وجملة المعنى لكنها تختلف في الحقيقة والكيفية.

(١) انظر: العين (٨/ ١٠)، والصحاح (٢/ ٥٤٣)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٥١)، ولسان العرب (٣/ ٤٢٠). وانظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٠٦)، وزاد المسير (٥/ ٢٥١)، وابن كثير (٣/ ١١٣).

وقوله: (فهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره)، هو أعلم بنفسه وأما غيره فلا يعلم عن الله إلا ما علمه الله جَلَّوَعَلَا، الملائكة تقول: ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]، والله جَلَّوَعَلَا يقول لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، ويقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأما غيره فلا يعلم حقيقة الله وكيفية الله جَلَّوَعَلَا، لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقوله: (وأصدق قِيلاً وأحسن حديثاً)؛ كما في القرآن: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، لا أحد أحسن من الله، ولا أصدق من الله، والله قال في كتابه أنه سميع، وأنه بصير، وأنه حكيم، وأنه عليم، وأن له وجهًا، وأن له يدين، قال هذا عن نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو أعلم بنفسه.

ثم يأتي هؤلاء المعطلة ويقولون: هذا لا يليق بالله، ما يليق بالله أن يقال له وجه ولا يقال له يد، ولا يقال إنه سميع ولا بصير؛ لأن هذه الصفات في الخلق موجودة وإذا أثبتناها شبهنا الله بخلقه!!.



فنزّه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكيف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل، فقال: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨١) [الصفات: ١٨٠-١٨٢].

— — — — — الشَّرْحُ — — — — —

نزه نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ مذهب الطائفتين - مذهب الممثلة ومذهب المعطلة - وأثبت لنفسه الأسماء والصفات على ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولهذا قال: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٥٩]، وقال: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]، نزه نفسه عن ذلك.

هذا هو المذهب الحق، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة، وهو الذي قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إِنَّهُ عَقِيدَتُهُ وَمَعْتَقَدُهُ.

قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نزه نفسه عما يصفه به أهل التعطيل وأهل التمثيل، ثم قال: ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ سلم عليهم لسلامة ما قالوه في الله عَزَّجَلَّ لسلامته من العيب والنقص، فالمرسلون وصفوا الله بما وصف به نفسه؛ لذلك سَلَّمَ اللهُ عليهم، وختم الآيات بقوله: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ له الثناء كله والحمد كله، لا يستحقه إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهل بعد هذا البيان يظن أحدٌ أن الشيخ عنده شيء يخالف به أهل العلم كما يتهمه خصومه؟

الجواب: لا، فهذه عقيدته واضحة نقية مما يرمونه به من الشبهات.

والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية.

— ❦ — الشَّرْح — ❦ —

لما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في أول الرسالة أصول الإيمان، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، ويَبَيِّنُ أنه على عقيدة السلف في أسماء الله وصفاته مخالفاً بذلك فرقتي المعطلة والمشبهة والممثلة، وقرر هذا الأصل، الذي هو داخل في الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الإيمان بالله يشمل: الإيمان بتوحيد الربوبية، والإيمان بتوحيد الألوهية، والإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

ثم ذكر في هذه الجملة ما يتعلق بالأصل الأخير وهو الإيمان بالقدر؛ لأن هذا وقع فيه خلافٌ وتفرق بين طوائف القدرية والجبرية.

أما القدرية فالمراد بهم: الذين ينفون القدر، وهم المعتزلة أتباع واصل بن عطاء، سموا بالمعتزلة لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، وكونوا لهم جماعة وتبنوا مذهباً في التوحيد يخالف مذهب أهل السنة والجماعة.

وأيضاً في أصول الإيمان جعلوا لهم أصولاً غيرها، وهي الأصول الخمسة، وهي:

الأول: التوحيد، ويريدون به نفي الصفات، يسمون نفي الصفات توحيداً؛ لأن إثبات الصفات يقتضي تعدد الآلهة عندهم.

والثاني: العدل، ويريدون به نفي القضاء والقدر؛ لأنهم يقولون: إثبات القضاء والقدر يلزم عليه الجور والظلم في حق الله تعالى، حيث يعذب عباده على شيء قدره عليهم.

والثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويريدون به الخروج على ولاة الأمور، فالذي يخرج على الولاية هذا هو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر عندهم.

والرابع: المنزلة بين المنزلتين، وهذه هي التي خالفوا واعتزلوا من أجلها مجلس الحسن، لما سُئِلَ الحسن رَحِمَهُ اللهُ عَنْ حُكْمِ مَرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ، أَجَابَ بِمَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، قَالَ: (هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ)، فَلَا يُكْفَرُ كَمَا تَكْفُرُهُ الْخَوَارِجُ، وَلَا يُوصَفُ بِالْإِيمَانِ الْكَامِلِ؛ كَمَا تَقُولُهُ الْمُرْجِئَةُ^(١)، بَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسَقَ بِكَبِيرَتِهِ.

فلما أَجَابَ الْحَسَنُ بِهَذَا الْجَوَابِ، وَكَانَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ تَلْمِيزًا لَهُ، قَالَ: أَنَا أَقُولُ إِنَّهُ لَا مُؤْمِنَ وَلَا كَافِرَ، بَلْ هُوَ فِي الْمَنْزَلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، يُخْرَجُ مِنَ الْإِيمَانِ وَلَكِنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي الْكُفْرِ، فَهُوَ فِي الْمَنْزَلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ لَا مُؤْمِنَ وَلَا كَافِرَ، فَإِنْ مَاتَ وَلَمْ يَتَّبِعْ فَإِنَّهُ يَكُونُ خَالِدًا فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُهُ الْخَوَارِجُ، فَأَحْدِثُوا الْقَوْلَ بِالْمَنْزَلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ وَعُرفُوا بِذَلِكَ^(٢).

(١) المُرْجِئَةُ: قِيلَ: مِنَ الْإِرْجَاءِ، أَي: مِنَ التَّأْخِيرِ؛ لِأَنَّهُمْ أَخَّرُوا الْعَمَلَ عَنْ مَسْمَى الْإِيمَانِ. وَقِيلَ: مِنَ الرِّجَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ مَعْصِيَةٌ، كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ! وَهُمْ فِرْقٌ شَتَّى. انْظُرْ: مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ (ص ١٣٢)، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ (ص ١٩٠).
(٢) انْظُرْ: الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ (١/ ٣٠-٣٢)، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ (ص ١٨، ٩٣، ٩٤)، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (٥/ ٤٦٤).

والخامس: إنفاذ الوعيد، ويريدون به أن النار لا يخرج منها من دخلها، فأوجبوا خلود مرتكب الكبيرة من أهل القبلة في النار، وقالوا: من استحق العذاب لا يستحق الثواب.

ومحط البحث الآن في الأصل الثاني وهو العدل، وأما مرتكب الكبيرة فيأتي بعده مباشرة.

فالعدل: وهو نفي القدر عندهم، وهذا غلط فيه المعتزلة والجبرية، وهما على طرفي نقيض.

فالمعتزلة يقولون: إن العبد يستقل بفعله وليس لله فيه قضاء ولا قدر، وإنما العبد هو الذي يستقل بفعله، والأمر أنف -يعني مستأنف- لم يُقدر ولم يُكتب في اللوح المحفوظ، وغلاتهم يقولون: ولم يعلمه الله قبل وقوعه. فينفون العلم، وهؤلاء كفار بلا شك؛ لأنهم إذا نفوا العلم فهم كفار. أما جمهورهم فيقولون: الله يعلمه ولكنه لم يقدره، وإنما علم أن هذا سيقع لكنه بدون تقدير منه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وشيوخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية يقول^(١): إن الصنف الأول وهم الذين ينفون العلم انقرضوا. أو القائل به منهم قليل في وقت الشيخ، أما الآخرون فلا يزالون إلى الآن باقون يقولون: إن الله يعلمه لكن لم يقدره، وإنما العبد هو الذي أحدثه بدون أن يقدره الله عليه.

هؤلاء هم القدرية، سموها بالقدرية لأنهم ينفون القدر، فيغلون في إثبات أفعال العباد ويقولون: هم الذين يوجدونها بدون أن يقدرها الله عليهم.

(١) انظر: العقيدة الواسطية (ص ٣٦) مع شرحها للمؤلف -حفظه الله-.

وأما الجبرية: فهم الجهمية ومن أخذ بقولهم، فهم على النقيض، يغفلون في إثبات القدر والمشيئة وينفون أفعال العباد، ويقولون: العبد مجبور ليس له اختيار في أفعاله، وإنما يُحَرِّكُ كما تُحَرِّكُ الريشة في الهواء، أو هو كالميت بين يدي الغاسل يقلبه ليس له اختيار. فهم غلوا في إثبات القدر وإرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونفوا أفعال العباد، واعتبروهم مُجْبَرِينَ على أفعالهم ليس لهم فيها اختيار ولا مشيئة، ولذلك سموا بالجبرية لأنهم يقولون بالجبر^(١).

أهل السنة والجماعة توسطوا - كما هي عادتهم في كل أمور الدين هم وسط فيها - فأثبتوا أن للعبد فعلاً ومشيئة واختياراً، ولكنه لا يخرج بذلك عن مشيئة الله وإرادته، فأثبتوا للعبد مشيئة واختياراً وإرادة وأفعلاً خلافاً للجبرية، ولكنه لا يخرج عن قضاء الله وقدره خلافاً للقدرية، وهذا هو الذي تدل عليه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلو لا أن للعبد مشيئة واختياراً وقدرة لما عذبه الله على أفعاله، فلو كان مُجْبَرًا - كما تقوله الجبرية - لم يعذبه الله على أفعال ليس له فيها اختيار.

ومن أدلة أهل السنة والجماعة قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[التكوير: ٢٨، ٢٩]، قوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ دل على أن الإنسان يستقيم على طاعة الله بمشيئته لا يُجبر على ذلك، إما أن يستقيم وإما أن يعصي، فهو الذي يؤمن وهو الذي يكفر، وهو المؤمن، والكافر، والفسق، والزاني، والسارق، والشارب، هو نفسه.

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، وشرح الطحاوية (ص ٥٩٠).

فأثبت للعبد مشيئة في قوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا رد على القدرية، فأول الآية رد على الجبرية وآخرها رد على القدرية، فالآية فيها رد على الطائفتين.

قوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ﴾ هذا رد على الجبرية الذين ينفون مشيئة العبد وإرادته، وأنه يُحرَّك بدون اختيار منه، وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ رد على القدرية الذين ينفون القدر ويغلون في إثبات مشيئة العبد، ويقولون: إن العبد يشاء ولو لم يشأ الله ولو لم يقدر الله، هو يفعل ويشاء بابتداعه وإيجاده هو. وبعضهم يقول: الله لا يعلم أفعاله قبل أن تقع، وهؤلاء هم الغلاة، وبعضهم يقول: يعلمها لكنه لم يقدرها. هذا هو ملخص البحث في هذه المسألة.

والقضاء والقدر ثابت في كتاب الله وفي سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرُهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وفي السنة حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَام لما قال للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١).

والإيمان بالقدر على أربع مراتب لا بد من الإيمان بها كلها:

المرتبة الأولى: الإيمان بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ بعلمه الأزلي الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، وهذه المرتبة هي التي نفاها غلاة القدرية.

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء، لحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١)، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ الكتاب هو اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي: نخلقها ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، والكتابة «قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢)، فالكتابة سابقة بأزمان على خلق السماوات والأرض.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة والإرادة، فكل شيء يقع فهو بمشيئة الله وإرادته، وفي هذا ردُّ على القدرية، فلا يكون في ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما لا يشاؤه ولا يريدُه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]. فكل شيء يحدث فقد شاءه الله وأرادَه بعدما علمه وكتبه في اللوح المحفوظ.

المرتبة الرابعة: مرتبة الإيجاد والخلق، عَلِمَهُ وَكَتَبَهُ وَشَاءَهُ وَخَلَقَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا بد أن تؤمن بهذه المراتب كلها وإلا لم تكن مؤمناً بالقضاء والقدر.

قوله: (والفرقة الناجية)، سُميت ناجية؛ لأنها ناجية من النار، بخلاف بقية الفرق فإنها في النار؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَسَتَفْترِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣٩٩)، وأحمد (٣٧٨ / ٣٧)، من حديث عبادة

بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٦) (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَسَبْعِينَ فَرَقَةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً^(١)، هذه الواحدة هي الناجية من النار، وهذه الفرق في النار وهي تتفاوت، منها ما هو في النار لكفره يُخلد فيها، ومنها ما هو في النار لمعصيته ولا يُخلد فيها، فلا يلزم من هذا أن هذه الفرق كلها كافرة، بل هي متفاوتة؛ لأن الخلاف يتفاوت.

وقوله: (وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية)، الجبرية: هم أتباع الجهم بن صفوان، الذي يقول بالجبر، ويقول بالإرجاء، ويقول بالتجهم.

ولهذا يقول ابن القيم في النونية^(٢):

جِيَمٌ وَجِيَمٌ ثُمَّ جِيَمٌ مَعَهُمَا مَقْرُونَةٌ مَعَ أَحْرَفٍ بِوِزَانٍ

يعني جمع بين ثلاث جيمات، والرابعة جيم جهنم والعياذ بالله.



(١) سبق تخريجه (ص ٢٣).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لأحمد بن عيسى (١١٤/٢).

وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية.

————— ❦ ————— الشَّرْحُ ❦ —————

هذه مسألة الكفر والإيمان لأصحاب الكبائر من أهل الإيمان، من حصل منه كبيرة دون الشرك؛ كالزنا والسرقه وشرب الخمر، وغير ذلك من الكبائر التي هي دون الشرك.

الخوارج كفروه، وقالوا: يخرج من الإسلام إلى الكفر - والعياذ بالله - ويستدلون بآيات من القرآن، آيات متشابهة لا يردونها إلى الآيات المحكمة، مثل قوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. استدلوها بهذا على أن كل من عصى الله فهو في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا، وأنه كافر، فيُكفَّرُون السارق والزاني وشارب الخمر، كل مرتكب كبيرة يكفرونه، ويخرجونه من الإسلام، ويخلدونه في النار إذا مات ولم يتب.

هذا مذهب الوعيدية، لماذا سمو بالوعيدية؟

لأنهم أخذوا بآيات الوعيد وتركوا آيات الوعد التي فيها وعد الله بالمغفرة والتوبة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فالله أخبر أنه لا يغفر للمشرك الشرك الأكبر، وأنه يغفر ما دون الشرك، ويدخل في ذلك جميع المعاصي، هذا وعد من الله جَلَّ وَعَلَا^(١).

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١١٤)، والفرق بين الفرق (ص ٥٤)، ومقالات الإسلاميين (ص ٨٦، ٨٧).

وهذا أخذ به المرجئة الذين يقولون: إن صاحب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، فقالوا: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وسُمُّوا مرجئة؛ لأنهم أرجئوا أي أخرّوا الأعمال عن مسمى الإيمان، وقالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب^(١).

وهم مع هذا أربع طوائف:

الأولى: مرجئة الفقهاء، من الكوفيين والأحناف الذين يقولون: إن الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالقلب، ولا يدخلون فيه العمل^(٢).

الثانية: الأشاعرة^(٣) ومن أخذ بمذهبهم، فيقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب ولو لم ينطق بلسانه، فمن صدق بقلبه فهو مؤمن حتى ولو لم يتكلم. وعلى هذا فالكفار مؤمنون؛ لأنهم يصدقون بقلوبهم لكن لا ينطقون بألسنتهم، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَعَاثَتْ آلَهُ يَحْضُدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]. هم يصدقون بقلوبهم

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (ص ١٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٠)، والملل والنحل (١٣٩/١).

(٢) راجع كتاب الإيمان من مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٠)، وما بعدها.

(٣) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتلمذ على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. اهـ.

انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (٨٥/ ١٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٠٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٨٧).

ويعلمون أنه رسول الله، وأن القرآن كلام الله، وأن ما جاء به هو الحق، لكن يمنعهم - والعياذ بالله - موانع: إما الكبر والأنفة، أو الخوف على مناصبهم ورئاستهم، أو الحسد.

واليهود يعرفونه ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾، يعني: محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿كَمَّا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، يعرفون أنه رسول الله، ولكن لم يطيعوه ولم يؤمنوا برسالته ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُتِّئَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، تركوه حسدًا، يريدون أن تكون النبوة في بني إسرائيل ولا تكون

النبوة في بني إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَام، حسدوا بني إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَام فأبوا أن يؤمنوا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم يؤمنون بقلوبهم أنه رسول الله. فهذا رد على الأشاعرة الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب ولو لم ينطق باللسان.

الثالثة: الكرامية^(١)، الذين يقولون: الإيمان هو النطق باللسان ولو لم يعتقد بقلبه، إذا نطق بلسانه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولو لم يعتقد بقلبه فهو مؤمن، كذلك يقولون. وهذا باطل يلزم عليه أن

(١) هم أتباع محمد بن كَرَام بفتح الكاف وتشديد الراء، وهو الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وكان يقول: (الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد مجرد عن عقد قلب وعمل جوارح)، توفي سنة ٢٥٥ هـ. انظر: المنتظم (٩٧/١٢)، وتاريخ دمشق (١٢٧/٥٥)، والسير للذهبي (٥٢٣/١١)، والبداية والنهاية (٢٠/١١)، والأنس الجليل (٢٩٦/١)، وشذرات الذهب (١٣١/٢).

المنافقين مؤمنون؛ لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥]، فهم يقولون بألسنتهم ولكن لا يعتقدون بقلوبهم ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [١] أَخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [المنافقون: ١، ٢]، شهادتهم للرسول جُنَّةً يَتَسْتَرُونَ بِهَا دُونَ الْقَتْلِ، يريدون أن يعيشوا مع المسلمين وهم كفار في قرارة أنفسهم وقلوبهم، حكم الله أنهم في الدرك الأسفل من النار تحت عبدة الأصنام. والكرامية يقولون: إنهم مسلمون ومؤمنون!! (١).

الرابعة: أخبث فرق المرجئة، وهم الجهمية الذين يقولون: إن الإيمان هو المعرفة بالقلب ولو لم يصدق، إذا عرف بقلبه فهو مؤمن ولو لم يصدق، ولو لم ينطق، ولو لم يعمل، ما دام أنه عارف بقلبه فهو مؤمن. وهذا القول أخبث مذاهب المرجئة.

فتبين من هذا معنى الإرجاء وأنه تأخير العمل عن الإيمان، وأن العمل لا يدخل في الإيمان، وأن الإنسان يكون مؤمناً ولو لم يعمل، ولو لم يُصَلِّ، ولم يَصُمْ، ولم يحج، ولم يعمل أي شيء، لو فعل ما فعل من المعاصي ومن الموبقات فهو مؤمن، والمعاصي لا تُنقص إيمانه، لو زنى وسرق فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم، ما دام إنه مصدق بقلبه.

(١) انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١)، والملل والنحل (١/ ١٠٨)، وشرح اللمعة للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ١٦٣).

والإيمان لا يتفاضل عندهم ولا يتفاوت، فإيمان أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مثل إيمان أفسق الناس عندهم^(١).

والحق أن الإيمان يتفاوت: فالمؤمنون منهم من إيمانه كامل، ومنهم من إيمانه ناقص نقصاً كثيراً أو قليلاً، فالإيمان يتفاوت، ويزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والعمل داخل في حقيقة الإيمان، ومن ترك العمل تركاً نهائياً بدون عذر ولم يعمل أبداً فليس بمؤمن، أما إذا ترك بعض الأشياء وفعل بعض الأشياء فإنه مؤمناً ناقص الإيمان.

أهل السنة والجماعة قالوا: مرتكب الكبيرة التي دون الشرك مؤمن، ولكنه ناقص الإيمان، أو هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وإذا مات فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه، لكنه لا يُجَلَدُ في النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وفي الحديث: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مِنْثَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ»^(٢)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ»^(٣)، فالإيمان يكون قوياً ويكون ضعيفاً، ومن فيه إيمان فإنه لا يكفر، ولو فعل بعض المعاصي فلا يكفر لكنه ينقص إيمانه، فلا يُعطى اسم الإيمان الكامل ولا يسلب اسم الإيمان بالكلية جمعاً بين النصوص.

(١) انظر: الفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، والملل والنحل (١/ ٨٦)، وميزان الاعتدال (٢/ ١٥٩)، وشرح الطحاوية (ص ٥٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٦) (١٩٣)، واللفظ له، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٧٨) (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولهذا يقول الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلا يُعطى الإيمان المطلق، ولا يُسلب مطلق الإيمان)^(١)، لا يُعطى الإيمان المطلق الكامل كما تقوله المرجئة، ولا يُسلب مُطلق الإيمان كما تقوله الخوارج والوعيدية، بل يُعطى بقدر ما عنده.

وهذا مذهب الحق والاعتدال والجمع بين النصوص، فالمعاصي تُنقص الإيمان وتُضعفه -ردًّا على المرجئة - لكنها لا تُخرج صاحبها من الإيمان، ردًّا على الخوارج والوعيدية.

والمعتزلة أحدثوا - كما مر بنا - المنزلة بين المنزلتين، وقالوا: ليس بمؤمن ولا كافر. وقولهم باطل؛ لأنه لا يوجد أحد ليس بمؤمن وليس بكافر، إما أن يكون مؤمنًا، وإما أن يكون كافرًا، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، إما كافر وإما مؤمن، والمؤمن إما مؤمن كامل الإيمان وإما مؤمن ناقص الإيمان.

قوله: (وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية)، المرجئة مَرَّ بنا تعريفهم، وهم الذين يقولون: إن العمل لا يدخل في حقيقة الإيمان. والوعيدية هم الذين ينفذون نصوص الوعيد، ويحكمون على مرتكب الكبيرة بالكفر والخروج من الإسلام.

هذا مذهب الخوارج - والعياذ بالله - ولهم ورثة الآن من المتعالمين والجهال الذين لا يحسنون الاستدلال، ولا يفقهون الأدلة ولا يراجعون

(١) انظر: العقيدة الواسطية (ص ٤٠).

عقيدة السلف، فيأخذون النصوص ويتلاعبون بها، ويحكمون على الناس بالكفر والخروج من الدين، ثم يحملون عليهم السلاح؛ كما فعل ذلك أسلافهم من الحرورية، نسأل الله العافية.



وهم وسط في باب الإيذان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الروافض^(١)، والخوارج.

— — — — — الشرح — — — — —

قوله: (الحرورية والمعتزلة)، الحرورية هم الخوارج، سموا بالحرورية؛ لأنهم اجتمعوا في مكان في العراق يقال له حروراء، اجتمعوا فيه لحرب المسلمين، فسموا بالحرورية^(٢)، وكل من اعتقد مذهبهم يقال له حروري؛ لأنه على مذهب الحرورية، والمعتزلة أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري.

وأهل السنة وسط في جميع أمور الدين - والله الحمد- بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والتساهل؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، والوسط هو: العدل الخيار، المتوسطة بين طرفين: طرف الإفراط وهو الغلو، وطرف التفريط وهو التساهل، فالإفراط أخذ به

(١) هي فرقة من فرق الشيعة الضالة، سموا (رافضة) لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويقال: سموا بالروافض لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ خرج على هشام بن عبد الملك، فطعن عسكره على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمنعهم من ذلك فرفضوه، فقال لهم زيد بن علي: رفضتموني؟ قالوا: نعم، فبقي عليهم هذا الاسم. وهم يدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ١٦ وما بعدها)، والفرق بين الفرق (ص ١٥)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركون (ص ٥٢).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى (٣/ ٣٢)، والأنساب (٢/ ٢٠٧)، والتعاريف (١/ ٢٧٧).

الخوارج، والتفريط أخذ به المرجئة، وأهل السنة وسط - والله الحمد - بين هذا وهذا.

قوله: (في باب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، الصحابة: جمع صحابي، والصحابي هو: من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به ومات على ذلك^(١).

فقولهم: (من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يخرج به من آمن بالنبي ولم يلقه، هذا لا يسمى صحابياً، مثل النجاشي رَحِمَهُ اللَّهُ فإنه آمن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكنه لم يلقه، فلا يقال إنه صحابي، ولما مات نعاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وخرج بهم وصلى عليه صلاة الغائب.

(من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به) يخرج بذلك من لقي النبي ولم يؤمن به، فإن الكفار لقوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقوه ورأوه واجتمعوا به.

(ومات على ذلك) يخرج بذلك من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمن به وصار صحابياً ثم ارتد، فإنه تبطل صحبته وتبطل جميع أعماله من الصحبة وغيرها إذا مات على الردة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، أما لو تاب تاب الله عليه وعادت إليه الصحبة، وجميع الأعمال التي فعلها قبل الردة على الصحيح؛

(١) انظر: شرح التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي (٢/ ١٢٠)، والإصابة لابن حجر (١/ ١٥٨)، ونخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (٤/ ٧٢٤)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٦٩).

لأن الله قال ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ فدل على أن الذي يتوب ولا يموت على الكفر أنه لا تحبط أعماله؛ لأن الله شرط لحبوط الأعمال شرطين:
الأول: أن يرتد.

الثاني: أن يموت وهو كافر.

فهذا هو الذي يحبط عمله من الصحبة وغيرها.

والواجب على المسلمين في حق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ محبتهم والافتداء بهم والثناء عليهم وإكرامهم؛ لأنهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين جاهدوا معه، وتلقوا العلم عنه، وبلغوه للأمة، -رضي الله عنهم وأرضاهم- والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ﴾. ﴿اتَّبَعُوهُمْ﴾: اقتدوا بهم وساروا على نهجهم، ﴿بِإِحْسَنِ﴾ لا يتبعون الصحابة دون معرفة لمذهبهم، هذا اتباع بغير إحسان، الإحسان معناه الإتيان، والإتيان لا يكون إلا بمعرفة الشيء وفقهه، فما كل من انتسب إلى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقال: أنا على مذهب السلف، يكون كذلك حتى يكون محسنًا، يعني متقنًا لهذا الاقتداء، وهذا لا يحصل إلا بالتعلم، لا يحصل بمجرد الانتساب أو بمجرد الرغبة في الخير أو المحبة للخير، لابد أن تعرف ما عليه الصحابة معرفة تامة ثم تتابعهم عليه، أما مجرد الانتساب من غير تحقيق فلا ينفع.

فقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ﴾ أي لم يغلوا ولم يتساهلوا في متابعة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هذا هو الإحسان يكون بين الغلو وبين التساهل.

وقال سُُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ هذه صفات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ يعني صفتهم ﴿فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩].

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أول ما بدأ الإسلام كانوا أفرادًا قليلين، سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في مكة: «فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ»^(١)، حر: وهو أبو بكر، وعبد: وهو بلال. هذا أول ما بدأ الإسلام لم يكن معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا قليل كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(٢)، بدأ الإسلام على هذا المبدأ ثم تكاثرت الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حتى بلغوا مبلغ الكمال.

وقوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ يعني فراخه، فالحبة الواحدة أول ما تظهر تكون قصبه واحدة، ثم تُفْرَخُ ويصير بجانبها فراخها، الصحابة

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤) (٨٣٢) من حديث عمرو بن عبسة السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه:

«... قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: حُرٌّ، وَعَبْدٌ، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ

يَمِّنُ آمَنَ بِهِ...».

(٢) أخرجه مسلم (١٣٢) (١٤٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كذلك أول ما نشؤوا كانوا قلة، ثم تكاثروا مثلما يتكاثر الزرع بالفراخ ﴿كَزَّرَجَ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَفَازَرَهُ﴾ يعني قواه وأيده ﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ ارتفع على قصبه ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ من حسنه، هذه صفة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ليغيط بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الكفار، فالذين يغتاظون من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويبغضونهم هم الكفار والمنافقون. واستدل أهل العلم بهذه الآية على أن من يبغض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فإنه كافر؛ لأن الله قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، وصفهم بأنهم بهذه الأوصاف العظيمة، ثم قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، ثم قال في الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، هذه في صفة الأنصار، الآية الأولى في المهاجرين وهذه في الأنصار، ثم قال في التابعين: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وهذا يشمل من جاء من بعدهم إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ يعني بغضا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

هذه صفة أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم القيامة.

فالواجب للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ محبتهم، والثناء عليهم، واتباعهم، والاقتراء بهم، وعدم الخوض فيما جرى بينهم في أيام الفتنة، لا تدخل في هذا أبداً أيها المؤمن، ولا تخض فيه، ولا تخطئ بعضهم وتصوب بعضهم؛ لأنهم مجتهدون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يريدون الحق، فعليك أن تمسك لسانك ولا تتكلم فيهم، ويجب أن تحفظ فيهم وصية الله جَلَّ وَعَلَا ووصية رسوله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»^(١)، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِإِبْغَضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ»^(٢)، وحب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من حب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن أحب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقد أحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أبغض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد أبغض الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا الواجب لصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، -ورضي الله عنهم أجمعين-.

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة مع صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذين ضلوا في هذا على فريقين:

-
- (١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرجه مسلم (٢٥٤٠) وفيه زيادة، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٢) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)، وأحمد (٨٧/٤)، والبيهقي في الشعب (١٩١/٢) من حديث عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فريق النواصب^(١).

وفريق الروافض.

فالروافض يكفرون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولا يستثنون، إلا أربعة من الصحابة هم: علي، وأبو ذر، وسلمان، والمقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويغلون في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويقولون: إن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الوصي بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باطلة وظلم واغتصاب، وخلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلها ظلم واغتصاب؛ لأن الخلافة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أما النواصب يبغضون علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويتكلمون فيه وفي أولاده.

والخوارج كفروا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعاً.

(١) النواصب عند أهل السنة: هم المتدينون بِبُغْضِ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنهم نصبوا له، أي: عادوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: (ويحبون أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...، ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة). انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٤).

فالنواصب هم الذين عادوا أهل البيت، لاسيما علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمنهم من يسبّه، ومنهم من يفسقه، ومنهم من يكفره؛ كما أشار لذلك شيخ الإسلام. انظر: منهاج السنة (٧/ ٣٣٩).

قال العلامة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (النواصب هم الذين ينصبون العداء لآل البيت، ويقدحون فيهم، ويسبونهم، فهم على النقيض من الروافض). انظر: شرح الواسطية (٢/ ٢٨٣). النواصب عند الشيعة: هي صفة لكل مسلم سني.

وأهل السنة والجماعة يتولون جميع صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أهل بيت الرسول وغيرهم، يتولونهم جميعاً ولا يفرقون بينهم، نعم بعضهم أفضل من بعض فالخلفاء الراشدون، وبقية العشرة المبشرين بالجنة أفضل من غيرهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأهل بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفضل من غيرهم، وأهل بيعة الرضوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والمهاجرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفضل من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لكن التفضيل لا يقتضي انتقاص المفضول أو الكلام فيه، كلهم لهم فضل الصحبة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأهل السنة وسط في صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الروافض والخوارج والنواصب، يتولون الجميع، ويحبون أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويوقرونهم، لكنهم لا يغفلون فيهم؛ كغلو الرافضة حتى قالوا: إن الخلافة لعلِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولذريته، وأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اغتصبوها وظلموهم، ويلعنون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويسمونهم صنمي قريش - قبحهم الله -، وكل آية فيها ظلم، وكل آية فيها كفر ينزلونها على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(١).

قوله: (وهم وسط في باب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الروافض والخوارج) بين الروافض، والخوارج، والنواصب أيضاً، الخوارج كفروا علانياً وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكثيراً من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بينما الروافض على العكس غلوا في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واعتقدوا أنه الخليفة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه هو الوصي، وأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ظلمة اغتصبوا حقه.

(١) انظر: الواسطية مع شرحها للمؤلف (ص ١٥٧).

والخوارج كفروا علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بينما الروافض بالعكس غلوا في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى إن غلاتهم يقولون: هو الله، والذين دون الغلاة لا يقولون إنه هو الله، لكن يكفرون الصحابة ويصفونهم بالظلم والطغيان، ويلعنونهم ويشتمونهم، فهم على طرفي نقيض.

أهل السنة والجماعة - كما ذكرنا - تولوا جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعرفوا قدر أهل البيت، ولم يفرقوا بين أحد منهم عملاً بوصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا هو المذهب في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم أفضل الأمة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١)، فهم خير القرون، وهم أفضل الأمة، وهم الذين أوصى بهم الله جَلَّ وَعَلَا وأوصى بهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم الذين نشروا الإسلام لما تحملوه عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلغوه للأمة، من أين وصلنا هذا الإسلام إلا عن طريق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هم الواسطة بيننا وبين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالأحاديث كلها رواها من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، رَوَاهَا عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الحاصل أن هذه عقيدة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عقيدة أهل السنة والجماعة، والذين يقولون: إن الشيخ خارجي، وأنه يُكفر. قد كذبوا عليه.



(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

— — — الشَّرَحُ — — —

لما كان من أصول وأركان الإيمان: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على رسله لأجل هداية العباد، والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، وإقامة الحجة عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى لنبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ [النحل: ٤٤].

فلما كان القرآن المنزل على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلام الله؛ كغيره من الكتب الإلهية، وأن الإيمان بذلك ركن من أركان الإيمان الستة، وهذا أمر لم يختلف عليه المسلمون -والله الحمد- ولكن نبتت نابتة بعد انقضاء القرون المفضلة على يد الجعد بن درهم الذي تلقى عقيدته عن اليهود، تقول: إن القرآن مخلوق؛ لأن الله لا يتكلم -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-، وإنما إضافة الكلام إليه إضافة مجازية؛ لأنه خلق الكلام في غيره، فخلقه الله في اللوح المحفوظ، أو في جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو في محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويا سبحان الله!! كيف يُضاف الكلام إلى غير من تكلم به؟ العقول لا تقر هذا. فهذا محال في العقول، وغرضهم من ذلك أن يبطلوا الاحتجاج بالقرآن، وأن يقولوا: ليس عند الناس كلام الله عَزَّوَجَلَّ، القرآن الذي هو أول الأدلة، فأول الأدلة القرآن ثم السنة، ثم الإجماع، ثم القياس، فإذا قيل: إنه ليس لله كلام بين الناس، بماذا يستدل الناس؟

إذا أبطلوا الأصل الأول بطلت بقية الأصول وبهذا يُقضى على الإسلام بهذه الطريقة، وشبهتهم يقولون: ننزه الله من أنه يتكلم؛ لأنه لو وصفناه بأنه يتكلم شبهناه بالخلق، فنحن ننزه الله عن ذلك. فجاءوا من طريق تنزيهه بزعمهم، وفي الحقيقة أنهم فروا من التشبيه الذي زعموه إلى تشبيه أقبح، فإذا نفوا عنه الكلام لئلا يُشبهه بالمتكلمين من الخلق، فقد شبهوه بالجمادات التي لا تنطق، وهذا نقص أعظم.

ولذلك حكم أئمة أهل السنة بكفر الجهمية، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ^(١):

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي عَشْرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
وَاللَّائِكَايِي الْإِمَامُ حَكَاهُ عَدُوُّهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِي

خمسون في عشرة يعني خمسمائة عالم حكموا بكفر الجهمية؛ لأنهم نفوا كلام الله سبحانه.

(١) انظر: النونية مع شرحها لأحمد بن عيسى (١/ ٢٩٠).

ولذلك خالد بن عبد الله القسري^(١) قتل الجعد بن درهم^(٢) لأجل هذه المسألة، في يوم عيد الأضحى فقال^(٣): (أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً). ثم نزل وذبحه تحت المنبر في مشهد من العلماء والمسلمين، وشكروه على ذلك.

ولهذا قال الإمام ابن القيم^(٤):

وَلَأَجْلِ ذَا ضَحَّى بِجَعْدٍ خَالِدُ الدَّ
قَسْرِيُّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلُهُ
كَأَنَّ وَلَا مُوسَى الْكَلِيمَ الدَّانِي
شَكَرَ الْمُضْحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ
لِلَّهِ دُرُكٌ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد البجلي القشيري، أمير مكة للوليد وسليمان، وأمير العراقيين لهشام بن عبد الملك، وهو من أهل دمشق، قال الذهبي عنه: (كان جواداً ممدحاً معظماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف)، توفي سنة ست وعشرين ومائة، وله ستون عاماً. انظر: تاريخ دمشق (١٦ / ١٣٥)، ووفيات الأعيان (٢ / ٢٢٦)، والوفاء بالوفيات (١٣ / ١٥٥)، والعبر (١٦٢)، وسير أعلام النبلاء (٥ / ٤٢٦).

(٢) الجعد بن درهم: هو مؤسس مذهب التعطيل وأول من قال: إن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، ويقال له مروان الجعدي؛ لأنه كان مؤدباً لمروان الحمار آخر خلفاء بني أمية. قتله خالد القسري يوم الأضحى سنة أربع وعشرين ومائة، وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، ونزل فقتله، وكان من أبرز تلاميذه الجهم بن صفوان، وبه عُرف مذهب التعطيل.

انظر: سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٣٣)، والبداية والنهاية (٩ / ٣٥٠)، والكامل في التاريخ (٤ / ٤٦٦)، والنونية بشرح ابن عيسى (١ / ٥٠، ٥١).

(٣) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (١ / ٣٠٩).

(٤) انظر: شرح النونية مع شرحها لأحمد بن عيسى (١ / ٥٠).

ولما قُتل الجعد بن درهم جاء من بعده الجهم بن صفوان فتبنى مقالته الخبيثة، فقتله الأمير سلم بن أحوز، وهكذا كان ولاية أمور المسلمين يقتلون الزنادقة حماية للعقيدة، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١)، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا يَأْخُذَ ثَلَاثُ: الثَّيْبُ الرَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(٢)، فكانوا يقتلون الزنادقة ويريحون المسلمين من شرهم حماية العقيدة التي هي الضرورية الأولى من الضروريات الخمس التي تجب المحافظة عليه.

فهذا أصل منشأ هذه المقالة الخبيثة، ثم ورثها عنه المعتزلة، والجعفرية من الشيعة يقولون بهذه المقالة؛ لأنهم تتلمذوا على المعتزلة فأخذوها عنهم، والشيعة الزيدية^(٣)، والأباضية^(٤) يرون هذا الرأي ويعتقدون أن القرآن مخلوق، وأنه ليس كلام الله، كل هذا ورثوه عن الجهمية، وهذا مدون في عقائدهم التي يدرسونها الآن.

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القائلون بإمامة بني فاطمة؛ لفضل علي وبنيه على سائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعلى شروط يشترطونها، وإمامة الشيخين عندهم صحيحة، وإن كان علي أفضل. انظر: الأنساب للسمعاني (٣/ ١٨٨)، والوافي بالوفيات (٢١/ ١٥)، وتاريخ بن خلدون (٦/ ٤).

(٤) الإباضية أصحاب عبد الله بن إباض المري وهم يرون أن المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين، بل قالوا: مخالفونا من أهل القبلة كفار ومرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن وكفروا علياً وأكثر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. انظر: الأنساب للسمعاني (١/ ٧٠)، والوافي بالوفيات (١١/ ٢٠١)، وشذرات الذهب (١/ ١٧٧)، وتاريخ ابن خلدون (٣/ ١٨٢).

جاءت الأشاعرة فأتوا بقول غريب في هذه المسألة، لا هو مع الجهمية، ولا هو مع أهل السنة، فقالوا: الكلام هو المعنى القائم بالنفس الإلهية، وأما هذا القرآن والكلام الذي نزل على الرسل، فإنما هو عبارة أو حكاية عن كلام الله، فهو- أي القرآن الذي معنا- مخلوق؛ لأنه عبر به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو جبريل عَلَيْهِ السَّلَام عن كلام الله، والله لا يتكلم، وإنما كلامه معنى قائم بنفسه يُعبر عنه الرسول. فهم جمعوا متناقضات لم يقل بها أحد غيرهم، فجعلوا القرآن بعضه غير مخلوق وهو المعنى النفسي، وألفاظه مخلوقة، فهذا القرآن الذي معنا الآن ليس هو كلام الله، إنما هو كلام محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، وهو مخلوق، أو أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَام أخذَه من اللوح المحفوظ، فهو ليس كلام الله، وإنما هو حكاية عن كلام الله، أو عبارة عن كلام الله (عبارة) هذا قول الأشاعرة، و(حكاية) هذا قول الماتريدية^(١)، وكلهم يقولون: هو ليس كلام الله؛ لأن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس فقط، فالقرآن بعضه إلهي وبعضه بشري، مثل مقالة النصاري في عيسى عَلَيْهِ السَّلَام: اتحد اللاهوت بالناسوت، فعيسى بعضه من الله، وبعضه

(١) هم أصحاب محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، المتكلم، وماتريد قرية من قرى سمرقند، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب تأويلات القرآن، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة بسمرقند، ومن المسائل التي اشتهر الماتريدية بالخلاف فيها: مسألة الاستثناء في الإيمان، والاستثناء في الكفر، ومسألة القرآن هل الله عَزَّجَل يتكلم بمشيئته وقدرته أم القرآن لازم لذاته، وغير ذلك من مسائل الصفات. انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣١-٤٣٤)، وفتح الباري (١٣/ ٤٥٥)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣/ ٣٦٠)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٤٣١-٤٣٤)، ومنهاج السنة (٢/ ٣٦٢)، وانظر: رسالة الماتريدية للشيخ شمس الدين الأفغاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

مخلوق، فكذلك قول الأشاعرة يُشبه قول النصارى في المسيح، بعضه مخلوق، وبعضه غير مخلوق، تناقضات والعياذ بالله.

أما من التزم بالحق فهو -ولله الحمد- على بينة وعلى بصيرة، وأهل السنة والجماعة ما زالوا يقولون: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. وأمتحن أهل السنة من المعتزلة على يد المأمون في هذه المسألة، وعُذب الإمام أحمد عند هذه المسألة، المأمون يريد أن يلزم الناس بعقيدة المعتزلة في القرآن وأنه مخلوق، وأهل السنة أبوا ورفضوا وفي مقدمتهم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، أبوا أن يقولوا وأن يخضعوا لهذه المقالة الخبيثة، فثبتهم الله على الإيمان، وخذل الله المعتزلة ومن نحا نحوهم، ولم يحصلوا على طائل إلا الفضيحة والنكسة والعياذ بالله.

ومع الأسف أن بعض الكتاب يقولون: مسألة القول بخلق القرآن أو عدم خلقه مسألة لا طائل تحتها، ولا تحتاج إلى انقسام، والإمام أحمد مخطئ عندما امتنع، أو هذه أمور سياسية، هم عذبوا الإمام أحمد ليس من أجل موقفه من القول بخلق القرآن، بل عذبوه؛ لأنهم يخافون أنه يقلب الناس عليهم، فهي مسألة سياسية. هكذا يقول هؤلاء الكتاب الجهال أو المغرضون، ويقولون: مسألة القول بخلق القرآن لا تستحق كل هذا.

هكذا يقولون؛ لأنهم إما جهال لم يدركوا الخطر، وإما أنهم مغرضون معتزلة ويريدون أن تمر هذه المسألة على الناس، ويُقال: لا تستحق كل هذه الجلبة. هذا موجود الآن في كتاباتهم في الصحف وفي المؤلفات.

فالحاصل أني نهيت على هذا لئلا يغتر أحد بكتابات هؤلاء، ويقول: المسألة سهلة، والمسألة لا تحتاج إلى كل هذه الردود. بل المسألة خطيرة جداً، فإذا نفينا أن القرآن كلام الله، إذاً ماذا يبقى معنا؟ وبالتالي تبطل الشريعة، إذا هُدم الدليل الأول لها والمصدر الأول لها بطلت الشريعة، وهذا غرض المؤسسين لهذه المقالة الخبيثة، وإن كان كثير من أتباعهم لا يدركون هذا الغرض، ولكن هذا هو المقصود، يكفي أن هذه المقالة جاءت من اليهود على يد الجعد بن درهم الذي تلقاها عن اليهود.

وقوله: (وأعتقد أن القرآن كلام الله مُنزل) منزل؛ كما يقوله أهل السنة والجماعة (غير مخلوق)؛ كما تقوله الجهمية ومن سار في ركا بهم، هذه عقيدة يجب على المسلم أن يعتقدها، ولا يقول: هذه مسألة شكلية.



منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة.

— — — الشَّرْحُ — — —

قوله: (منه بدأ) يعني: نزل من الله جَلَّ وَعَلَا حيث تكلم الله به حقيقة، وسمعه منه جبريل، ونزل به إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبلغه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمته فهو كلام الله حقيقة لا مجازًا. وأما قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿التكوير: ١٩، ٢٠﴾، يعني: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٢٠) وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿الحاقة: ٤٠، ٤١﴾، يعني: محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أضافه إلى الرسول البشري تارة، وإلى الرسول الملكي تارة، وأضافه إلى نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تارة.

فيقال: الكلام إنما يُضَافُ إلى من قاله مبتدئًا، وأما إضافته إلى جبريل أو إلى محمد فهي إضافة تبليغ، ولا يمكن للقول الواحد أن يقوله عدة قائلين أبدًا، فدل على أنه كلام الله، ولكن أضافه إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ إضافة تبليغ، والكلام إنما يُضَافُ إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغًا مؤدبًا.

فهذا هو الجواب عن هذه الشبهة التي يتعلقون بها.

قوله: (وإليه يعود) إشارة إلى ما يكون في آخر الزمان حينما يُرفع القرآن، ويؤخذ من صدور الرجال ومن المصاحف، ولا يبقى له أثر، وذلك

من علامات الساعة، فكما أنه نزل منه فإنه يُرفع في آخر الزمان ويعود إليه
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يبقى في الأرض قرآن^(١).

قوله: (تكلم به حقيقة) هذا رد على الذين يقولون: إنه تكلم به مجازاً،
فإضافته إلى الله من باب المجاز؛ لأنه هو الذي خلقه فيُضاف إليه مجازاً.

وليس هو المعنى القائم في نفسه كما تقوله الأشاعرة، وليس هو مخلوقاً
كما تقوله الجهمية، وإنما تكلم الله به حقيقة وسمعه منه جبريل وتحمله عن الله
جَلَّ وَعَلَا، وبلغه لنبه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالقرآن عن محمد عن جبريل عن الله
جَلَّ وَعَلَا، هذا سند القرآن؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ذِي
قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ هذا كله في جبريل عَلَيْهِ السَّلَام.

ثم قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ يعني: محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ
يَمَجْنُونِ﴾ كما تقوله الكفار، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي: رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على

(١) كما في أثر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص ٨٦)،
وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٦٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٤٥)، والدارمي (٣٣٨٦)،
وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣٣٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٤١)، والحاكم
(٤/ ٥٤٩)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٤٧٢)، وفي شعب الإيثار (٣/ ٣٩٩)، وابن بطة
في الإبانة الكبرى (٥/ ٣٦٥)، والخلال في السنة (٤/ ١٤٩) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ
هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي بَيْنَ ظَهْرِيكُمْ يُوشِكُ أَنْ يُنَزَعَ مِنْكُمْ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بَنَ مَسْعُودٍ كَيْفَ
يُنَزَعُ مِنَّا وَقَدْ أَثْبَتَهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا، وَأَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: يَسْرِي فِي لَيْلَةٍ، فَيَسْرَعُ مَا فِي
الْقُلُوبِ، وَيَذْهَبُ بِهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَكِنْ شَتْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾
[الإسراء: ٨٦] حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، قَالَ سُفْيَانُ، قَالَ: ثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ بِهَذَا قَالَ سُفْيَانُ: ﴿ثُمَّ لَا
يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦]، لَا تَجِدُ أَحَدًا يَتَوَكَّلُ لَكَ أَنْ لَا يَذْهَبَ بِهِ».

صورته الحقيقية الملكية ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في الأفق على صورته في بطحاء مكة، وراه مرة أخرى ليلة المعراج عند سدره المنتهى، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]، أي: رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عند سدره المنتهى ليلة المعراج، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على خلقته الملكية مرتين^(١)، وفيما عدا ذلك يأتي إليه بصورة إنسان، ويراه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على صورة إنسان^(٢)، ويظنون أنه من البشر، وأنه وافد إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (٢٨٧) (١٧٧) عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: «كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرْنِي، وَلَا تُعْجِلْنِي، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّجَلْ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ...» الحديث.

(٢) كما في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي رواه مسلم (٨). وأخرج البخاري (٣٦٣٣)، ومسلم (١٠٠) (٢٤٥١) «أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأُمِّ سَلَمَةَ مَنْ هَذَا؟ أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَتْ: هَذَا دَحِيَّةٌ. فَلَمَّا قَامَ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ». وعند مسلم (٢٧١) (١٦٧) بلفظ: «وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحِيَّةً».

وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده نبينا

محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

— — — — — الشرح — — — — —

قوله: (وأنزله على عبده ورسوله)، هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبده ورسوله، (عبده) هذا رد على الذين يغفلون في محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويجعلون له شيئاً من الإلهية، فهو عبد وليس معبوداً، و(رسوله) هذا رد على الذين ينكرون رسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم على طرفي نقيض، طائفة غلت فيه ورفعته إلى مقام الألوهية، وطائفة فرطت في حقه وجحدت رسالته، فنحن نقر بالأمرين: أنه عبد وأنه رسول.

وقوله: (وأمينه على وحيه) الرسول أمين، لم يزد في القرآن ولم ينقص، بل بلغه كما جاءه عن الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤: ٤٥)، لو تقول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الله ونسب إليه ما لم يقل لأهلكه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا فيه تزكية للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه بَلَغَ البلاغ المبين، فهو مُبَلِّغٌ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمين على الوحي؛ ولهذا لما قَسَمَ الصدقة، وتكلم من تكلم من المنافقين، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»^(١)، ألا تأمنوني على قسم الصدقات، وأنا أمين من في السماء - وهو الله - على الوحي.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (وسفيره بينه وبين عباده)، السفير: هو الرسول، فالرسول سفير بين الله وبين عباده لتبليغ الرسالة، أرسله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِيُبْلِغَ رَسُولَاتِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ^(١).



(١) انظر: صريح السنة للطبري (ص ١٩)، والرد على الجهمية للدارمي (ص ١٨٩)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٥٨)، وأصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١١٥١)، ولمعة الاعتقاد (ص ١٦).

وأومن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره.

————— ❦ ————— الشَّرْحُ ————— ❦ —————

انتهى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من مسألة الكلام، وبيّن عقيدته فيها، وأنها عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنه يتبرأ من عقيدة الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة الذين خاضوا في كلام الله، وقالوا مقالات شنيعة، ومن مقالة الكفار الذين قالوا: إن محمداً هو الذي اخترع هذا القرآن، وجاء به ونسبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، هذه مقالة الكفار؛ ولهذا يقول الوليد بن المغيرة: إن هذا إلا قول البشر، قال تعالى مخبراً عنه: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ نَبَّأَ ۖ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ فَقَالَ إِنِّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ إِنِّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ﴾ [المدر: ١٨-٢٥]، يعني: أن القرآن قول محمد ولم يقله الله جَلَّوَعَلَا^(١).

فالجهمية شابهوا الكفار في هذا وقالوا: إن القرآن ليس كلام الله، وإنما هو قول محمد.

قال رَحِمَهُ اللهُ بعد ذلك: (وأومن بأن الله فعال لما يريد)، وهذه مسألة أخرى، وهي الإيمان بأفعال الله جَلَّوَعَلَا، الله جَلَّوَعَلَا له أسماء، وله صفات،

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٤٢٩)، وزاد المسير (٤/٣٦٣)، وابن كثير (٨/٢٦٥).

وله أفعال، وله إرادة ومشیئة، (فعال لما يريد) يخلق ويرزق ويُحي ويميت ويدبر، هذه أفعال الله جَلَّوَعَلَا، وهي بإرادته ومشیئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، يفعل ما يشاء، ويفعل ما يريد.

وقوله: (ولا يكون شيء إلا بإرادته)، ما يكون في هذا الكون فهو من خلقه وإيجاده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبمشیئته وإرادته، لا يكون في هذا الكون شيء بغير إرادته، أو بغير خلقه، أو أن أحداً يخلق مع الله جَلَّوَعَلَا.

هذا رد على المعتزلة الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه، وإن الله لم يخلق أفعال العباد، وإنما هم الذين خلقوها مستقلين عن الله جَلَّوَعَلَا، وليس لله فيها إرادة ولا مشیئة.

فنحن نؤمن بأن أفعال العباد هي خلق الله، وهي كسب العباد، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، أي: وخلق ما تعملون.

وقوله: (ولا يخرج شيء عن مشیئته) في هذا الكون، لا يمكن يحدث شيء من كفر أو إيمان أو طاعة أو معصية أو غنى أو فقر أو حياة أو موت أو رزق إلا بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مشیئته شاملة وإرادته شاملة، وكل شيء بإرادته ومشیئته، لا كما تقوله المعتزلة: إن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم استقلاً ولا وليس لله فيها أي تدخل، لكونهم هم الذين يخلقون أفعالهم. فيصفون الله جَلَّوَعَلَا بالعجز، ويعطلونه عن الخلق والفعل ويجعلون معه خالقاً غيره، وعلى نقیضهم الجبرية الذين يقولون: إن العباد ليس لهم أفعال، إنما هي أفعال الله

يحركهم فيها كما تحرك الآلة، ليس لهم إرادة ولا مشيئة. فهم على النقيض من المعتزلة.

فالجبرية غلوا في إثبات أفعال الله، وغلوا في نفي أفعال العباد، وقالوا: العباد ليس لهم أفعال، فهم غلوا في إثبات وغلوا في نفي.

والقدرية والمعتزلة على العكس غلوا في إثبات أفعال العباد، فهم على طرفي نقيض.

أما أهل السنة والجماعة فيقولون: إن الله هو الذي يخلق ويرزق ويُدبر؛ كما يشاء وكما يريد، والعباد لهم مشيئة، ولهم إرادة ولهم اختيار، يفعلون الأفعال باختيارهم ومشيتهم وإرادتهم، فلهم مشيئة ولهم إرادة، لا كما تقوله الجهمية الجبرية، ولكن مشيتهم ليست مستقلة كما تقوله المعتزلة، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، فقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ رد على الجبرية الذين ينفون مشيئة العبد، وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ رد على المعتزلة القدرية الذين ينفون إرادة الله ومشيتته، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

والعقاب والثواب إنما هو على أفعال العباد التي فعلوها بإرادتهم ومشيتهم واختيارهم، يُعذبون على المعاصي؛ لأنهم هم الذين فعلوا هذه الأشياء باختيارهم، وكانوا يستطيعون تركها وتجنبها والابتعاد عنها، وهم منهيون عنها، فهم أقدموا عليها باختيارهم، فيُعذبون على هذا؛ ولذلك الذي

ليس له مشيئة ولا اختيار؛ كالمجنون والصغير والنائم لا يؤاخذ؛ لأنه ليس له مشيئة ولا إرادة، أما العاقل البالغ فهذا يؤاخذ على أفعاله؛ لأنه يستطيع الفعل والترك، الله أعطاه الإمكانية لهذا، وهذا يستطيع يصلي ويستطيع يزني في آن واحد، هو يستطيع هذا وهذا، فإن كف عن الزنا وأقام الصلاة آجره الله عَزَّوَجَلَّ، وإن عكس وأتى الزنا وترك الصلاة عاقبه الله على أفعاله، وعلى إرادته.

وقوله: (وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره) كل هذا رد على المعتزلة القدريّة، (ولا يصدر إلا عن تدبيره)، قال تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]، وقال: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].



ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور.

— ❦ — الشَّرْحُ ❦ —

كذلك أيضًا يؤمن الشيخ - وأهل السنة والجماعة يؤمنون - أنه لا محيد للإنسان عن القضاء والقدر الذي قدره الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، خلافًا للمعتزلة الذين يقولون: العبد يستطيع أن يفعل، وليس لله عليه إرادة ولا سيطرة.

وأهل السنة يقولون: إنه يُقدر سُبحَانَهُ وَتَعَالَى على العبد امتحانًا وابتلاءً لأجل أن يشبهه أو يعاقبه، وقد يُقدر الأشياء على العبد عقوبة له، فالعبد يفعل الأسباب، والله جَلَّ وَعَلَا يرتب على الأسباب نتائجها، فإن فعل أسبابًا طيبة رتب الله عليها نتيجة طيبة، وإن فعل أسبابًا محرمة رتب الله عليها نتيجة سيئة؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥-٧]، فالسبب من قِبَلِ العبد، والنتيجة من قِبَلِ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو يثيب أهل الطاعة ويسرهم لليسرى ويعينهم، ويعاقب أهل المعصية، فيتركهم يتمكنون من هذه الأفعال عقوبة لهم؛ لأجل أن يؤاخذهم ويعاقبهم بسبب نياتهم الخبيثة، وبسبب تصرفاتهم، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٨-١٠]، العبد هو المتسبب، والله يُقدر عليه نتيجة لعمله هو ونيته هو، إما ثوابًا وإما عقابًا؛ ولهذا سأل الصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بيّن لهم أن كل شيء بقضاء الله وقدره، قالوا: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَكَلَّلُ؟ قَالَ: لَا، اْعْمَلُوا، فَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١)،

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧) (٧) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُثُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ =

فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۖ﴾ [الليل: ٥-١٠]، فلا يجوز للعبد أن يتوقف ويقول: إن كان قدر لي أن أصير في الجنة فأنا في الجنة، وإن كان مقدراً إنه في النار يصير في النار. هذا لا يجوز، والعبد لا يطرد هذا في أفعاله، هل يجلس الإنسان ويترك طلب الطعام والشراب، ويقول: إن كان الله مقدراً لي الطعام فسيأتيني وأنا جالس، وسيأتيني الشراب وأنا جالس؟ لا يقول هذا، بل يقوم ويبحث، إذا جاع يقوم ويبحث عن الطعام، وإذا عطش يقوم ويبحث عن الماء، ولا يقول: إذا كان الله مقدراً لي الطعام والشراب سيأتيني؛ لأن فطرته تقتضي أن يتحرك ويبحث.

لو أن إنساناً جاء وضربه أو قتل ابنه هل يسكت ويقول: هذا قضاء وقدر، أو يطلب الانتقام؟ الجواب: يطلب الانتقام، ولم لا يقول: هذا قضاء وقدر، ولا يؤاخذ القاتل أو الضارب، ولا يُطالب بالانتقام؟

هذا دليل على أن الأشياء لها أسباب، وأن العبد مطلوب منه فعل الأسباب، ولا يبقى بدون فعل الأسباب، الله ربط المسببات بالأسباب، حتى الطيور والحيوانات لا ترى هذا الرأي، لا تقعد في أوكارها وتقول: سيأتيني الرزق وأنا في وكري. وهي طيور وحيوانات، بل تروح وتبحث عن الرزق؛

= إِنْ لَّا وَقَدْ عَلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: لَا، اعْمَلُوا، فَكُلُّ مُسِيرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ﴾ [الليل: ٦]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠].

لأن الله فطرها على هذا، أنه لا يحصل لها شيء إلا بعمل وحركة وبحث، ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقِ اللَّهُ﴾ [الروم: ٣٠]، ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

فهذه المقولة خاسرة وكاذبة -وهي الاحتجاج بالقدر على ترك العمل- والمسلم مطلوب منه أن يعمل العمل الصالح، وإذا أذنب مطلوب منه التوبة، وعنده القدرة على هذا، فهو يقدر أن يفعل، ويقدر أن يترك، فلو ترك العمل عجزاً لم يؤاخذ الله، ولكن إن تركه كسلًا فهو مؤاخذ على هذا؛ لأنه مفرط، فهناك فرق بين الكسل وبين العجز، العجز لا يؤاخذ الله عليه، ولكن إذا كسل فهذا يؤاخذ؛ لأنه هو الذي فرط، ففطر العباد تقتضي هذا مع دلالة الكتاب والسنة.

وقوله: (لا محيد) أي لا مفر عن القدر المحدود، ولكن أنتم مأمورون بفعل الأسباب، أما خلق النتائج فهذا بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قد تفعل ولا يحصل لك شيء؛ لأن الله لم يقدر لك نتيجة، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنْ لَوْ تَفَتَحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٣٤) (٢٦٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنْ لَوْ تَفَتَحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ».

فالنصواب: أن هذا الشيء مكتوب إذا فعلت السبب، أما إذا لم تفعل السبب فلا يحصل لك شيء، لو لم تتزوج لم تُرزق الولد، فالزواج سبب لحصول الولد، وهكذا كل الأسباب.

فأنت أيها العبد عليك فعل السبب، وأما النتيجة فهي عند الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تأسف إذا لم تحصل النتيجة بل ترضى بقضاء الله وقدره، وتقول: (قدر الله وما شاء فعل)، وربما يكون هذا خيراً لك، فلا تكره ذلك.

وقوله: (في اللوح المسطور) الذي فيه كتابة مقادير الأشياء كلها، وهناك مقادير جزئية تؤخذ من اللوح المحفوظ، مثل: الجنين في بطن أمه إذا بلغ أربعة أشهر نُفخت فيه الروح، يُرسل إليه الملك، ويؤمر بكتب أربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد^(١). هذا مأخوذ من اللوح المحفوظ من الكتابة السابقة.



(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (١) (٢٦٤٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ، بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ، وَأَجْلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؛ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا».

وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون بعد الموت.

————— ❦ ————— الشَّحْجُ ❦ —————

من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، وقد تكرر ذكره في القرآن الكريم، ففي أول سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَيَا آخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، فمن صفات المتقين أنهم يوقنون باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر من البر، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْآلِرَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فيؤمنون بالله واليوم الآخر، وتكرر ذلك في القرآن الكريم، وُسُمي باليوم الآخر؛ لأنه بعد الدنيا، الدنيا هي اليوم الأول، ويوم القيامة هو اليوم الآخر، سمي يوم القيامة لقيام الناس من قبورهم لرب العالمين^(١).

وهذا الركن من أركان الإيمان خالف فيه كثير من الكفرة، فالكفار الذين بُعث إليهم النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكفرون باليوم الآخر، ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]، فالذي ينكر اليوم الآخر، وينكر البعث كافر بالله عَزَّجَلَّ الكفر المخرج من الملة؛ لأنه جاحد لركن من أركان الإيمان؛ ولأنه مكذب لله ولرسوله، بل لجميع الرسل، مكذب لما علم من الدين بالضرورة، وليس لهم حجة أو شبهة إلا أنهم يقولون: لا يمكن هذا؛ لأننا صرنا رفاتاً وعظاماً فمن يُحيي العظام وهي رميم؟ ﴿وَقَالُوا

(١) انظر أسماء يوم القيامة في: فتح الباري (١١/ ٣٩٦)، والتذكرة للقرطبي (ص ٥٦٧)، والقيامة الكبرى للأشقر (ص ١٩-٢٨).

أَوَّذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلَقًا جَدِيدًا ﴿[الإسراء: ٤٩]﴾، قَالُوا أَوَّذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَمًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿[المؤمنون: ٨٢]﴾، إلى غير ذلك.

يستبعدون قدرة الله على أن يُحيي العظام وهي رميم، وأن يعيدها وهي تراب، ويقولون: ﴿أَتَتُوا يَا بَابِئِنَّا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجن: ٢٥]، يتحدثون الله فيقولون: إذا كان هناك بعث فأبأؤنا ماتوا فأحيوهم ونحن ننظر إلى ذلك ﴿أَتَتُوا يَا بَابِئِنَّا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، الله جَلَّوَعَلَا أخبر أنه لا يُغير سنته سبحانه من أجل استعجال الكافرين، الله قضى بأنه لا يكون البعث إلا في وقته، فلا يعجله من أجل استعجال الكافرين، ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجن: ٢٦]، فالله قضى بأن البعث له معاد لا يتقدم، ولا يتأخر، والله جَلَّوَعَلَا لا يستغفره أحد، ولا يغير وعده وتوقيته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى من أجلهم.

وكذلك يتحدثون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون: متى قيام الساعة؟ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعَتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، فقيام الساعة لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، فلما سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحضرة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُورُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»^(١)، يعني: أنا وأنت سواء؛ لأننا لا نعلمها؛ لأن هذا لا يعلمه إلا

(١) أخرجه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩، ١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم ما هي فائدتهم إذا عرفوا وقت قيامها؟ ليس لهم فائدة في هذا، إنما الفائدة في الاستعداد والعمل، وأما متى تقوم الساعة فهذا ليس لهم فيه فائدة، ولو كان لهم فيه فائدة لبينه الله لهم، ولكن هذا من باب المكابرة والعناد، وإلا فمعلوم أنه لو جاءك أحد، وقال: إنه مقبل عليك عدو إن لم تستعد للقائه وتحذر منه فسوف يقتلك ويأخذك. هل من الحكمة أنك تقول: متى يأتي هذا العدو؟ هذا ليس من الحكمة، ولا من العقل، الحكمة أن تستعد وتكون على أهبة الاستعداد متى ما جاء، كذلك قيام الساعة، الحكمة أنك تستعد، أما وقت قيامها فهذا ليس لك فيه مصلحة من قريب أو بعيد ﴿وَلَنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم هذا، ولا أحد يعلم هذا إلا الله جَلَّ وَعَلَا لحكمة أخفاها عن جميع خلقه، لا يعلمها إلا هو.

كذلك من شبههم أنهم يقولون: هذه الأجسام صارت ترابًا، نخرة ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾ [النازعات: ١١]، فكيف تعود فيها الحياة بعد أن كانت نخرة ورميًّا؟ ﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، يستبعدون هذا، الله جَلَّ وَعَلَا رد عليهم بردود، منها:

أن الذي بدأ خلقهم قادر على أن يعيدهم من باب أولى، الذي يقدر على البداية قادر على الإعادة من باب أولى، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، فالله عَزَّ وَجَلَّ كل شيء عليه هين، ولكن هذا من باب ضرب المثل للعقول، فالعقول

تدري أن الإعادة أسهل من البداءة، فلو يأتي شخص ويصنع جهازاً مركباً من أدوات ومسامير ومن أشياء هائلة ودقيقة، ثم بعد ذلك ينتقض هذا الجهاز ويتشتت ويتقطع كل أداة على حدة، وكل مسمار على حدة، أليس الذي ركه في الأول قادر على أن يركبه بسرعة مرة ثانية؟

الجواب: نعم؛ لأنه عرفه، وعرف مكان كل أداة ومكان كل مسمار،

فالمهندس الذي رَكَّبَهُ في الأول سَهَّلَ عليه أن يعيده وينظمه من جديد، هذا من ناحية العقل، الذي بدأ الشيء قادر على إعادته من باب أولى؛ ولهذا قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ ﴿نَسِيَ أَنْ اللَّهُ خَلَقَهُ مِنَ الْعَدَمِ﴾ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، فالذي قدر على البداءة قادر على الإعادة من باب أولى، هذا في نظر العقول وإلا فالله جَلَّ وَعَلَا لا يعجزه شيء، ولكن هذا من باب إفحام هؤلاء.

وكذلك الله جَلَّ وَعَلَا احتج بأنه يُحْيِي الأرض بعد موتها؛ فأنت تمر على الأرض هامدة ليس فيها شيء، جرداء بيضاء ليس فيها أي عود أو أي ورقة، فينزل عليها الغيث، ثم تربو وتنتفخ طبقتها، ثم تتفتق عن النبات، ثم بعد فترة وجيزة تصبح روضة خضراء فيها من أنواع النباتات والزهور والثمار، وكانت في الأول جرداء يابسة، مَنْ الذي أعادها وأحياها؟ الذي قَدَرَ على إحياء الأرض قَادِرٌ على إحياء الأجسام ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْزَلَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩] الذي يُحْيِي الأرض بعد موتها قَادِرٌ على إحياء

الأموات بعد موتهم وإعادتهم كما كانوا. فهذا من أدلة البعث، إحياء الأرض بعد موتها بالنبات.

ثم هذه الحبة اليابسة إذا سقاها الله بالماء انفرجت عن عروق وعن ورق وعن سيقان، ثم في النهاية يكون لها سنابل وتثمر، وهي في الأول حبة يابسة أخرج الله منها هذا النبات العجيب، ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَّيْ أَنْ يُخْجِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]، فالنطفة مثل البذرة، نطفة من الماء يخلط فيها ماء الرجل وماء المرأة، ثم تتحول إلى علقة: أي إلى دم، ثم يتحول الدم إلى مضغعة أي قطعة لحم، ثم تتحول قطعة اللحم إلى أعضاء وعروق وسمع وبصر وحواس، ثم تُنفخ فيه الروح، ثم يحيي ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُنْثَى ۖ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۖ ﴿٣٨﴾ فَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ۖ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَّيْ أَنْ يُخْجِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٧-٤٠].

فالذي قدر على تحويل هذه النطفة من الماء الأمشاج -يعني: المختلط من ماء الذكر وماء الأنثى- إلى إنسان، هذا الذي خلق هذا الإنسان من هذا الماء وأنشأه قادر على إحيائه بعد موته، وإذا كانوا يقولون: إنه يضيع في الأرض ويتفتت. فالله جلَّ وعلا يقول: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِظٌ﴾ [ق: ٤]، فالتراب الذي تحول من هذا الإنسان يُعاد لحماً ودماً وعظاماً كما كان، هذا الرفات يُعاد ويتكون كما كان، ولا يضيع منه شيء، حتى ولو فني كله وصار تراباً فهناك شيء لا يفنى، وهو عظمة يسيرة وهي عَجَبُ الذَّنْبِ، لا يفنى ومنه يُركب خلق الإنسان^(١).

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، قَالَ: =

ثم أيضًا لو لم يكن هناك بعث وحساب وجزاء للزم العبث في حق الله جلَّ وعَلَا، وأنه يخلق الخلق للفناء فقط، وليس لحياتهم وأعمالهم نتيجة، خلقهم وأوجدهم واعتنى بهم، وهم يعملون، ومنهم من يعمل أعمالاً صالحة، ويموت ولا ينال من جزائها شيئاً، ومنهم من يعمل أعمالاً قبيحة، ومعاصي، وكفرًا، وإلحادًا، ويموت ولا ينال من جزائه شيئاً، هل ينتهي عند هذا؟ الجواب: لا، هذا فيه طعن في عدل الله جلَّ وعَلَا ﴿أَفَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥)

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿[القلم: ٣٥، ٣٦]، الله لا يجعل المسلمين كالمجرمين كلهم يموتون ولا ينالون من جزاء أعمالهم شيئاً، ﴿أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢٨) كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذَبَرُوا ءَايَتِهِ وَلِيَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿[ص: ٢٨، ٢٩]، فلا يكون فيه بعث وجزاء، لا جزاء للمحسن على إحسانه ولا للمسيء على إساءته، هذا من باب العبث أن الله يخلق خلقاً ويتركه ولا يصير له نتيجة، ويعملون أعمالاً سيئة أو صالحة ولا يكون لها ثمرة ولا نتيجة، هذا من العبث، ومن باب الطعن في عدالة الله جلَّ وعَلَا ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿[المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، تعالى الله عن ذلك أن يكون خلق هذا الخلق ويتركهم يموتون ولا يصير لأعمالهم نتيجة، ولا يتميز المؤمن من الكافر، بل ربما يكون

= أَيْبْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَ: أَيْبْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَهْرًا، قَالَ: أَيْبْتُ وَبَيَّنِّي كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ، إِلَّا عَجَبَ ذَنْبِهِ، فِيهِ يُرْكَبُ الْخَلْقُ».

الكافر منعاً في هذه الدنيا وهو على المعاصي والكفر، ويكون المؤمن مضيقاً عليه في هذه الدنيا ولا ينال من جزائه شيئاً، هذا يلزم فيه الطعن في عدالة الله جَلَّوَعَلَا، ويلزم عليه أنه خلق الخلق عبثاً لانتيجة لأعمالهم، فهذا من الطعن في حكمة الله جَلَّوَعَلَا، وفي عدل الله سُبْحَانَهُوَعَلَى، فهذا من أدلة البعث ذكرها الله في القرآن الكريم في مواضع متعددة، فالإيمان بالبعث ركن من أركان الإيمان الستة، تكرر ذكره في القرآن الكريم.



فأومن بفتنة القبر ونعيمه.

— — — الشَّرْحُ — — —

هذا أول ما يكون في اليوم الآخر، إذا وُضِعَ الميتُ في قبره، وانتهى من دفنه، وتولى عنه مشيعوه، وإنه ليسمع قرع نعاهم، يأتيه ملكان فيقعدانه، فتُعاد روحه في جسده^(١)، ويحيى حياة برزخية ليست مثل حياته في الدنيا، حياة برزخية لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى^(٢)، فيسألانه: «مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟»، فالؤمن يقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لأنه مات على الإيمان فبعث عليه، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فإذا أجاب بهذه الإجابات نادى منادٍ: (أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً من الجنة)، ويوسع له في قبره مدَّ بصره حتى يرى منزله

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نِعَالِهِمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبَدَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوْ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ».

(٢) انظر معنى البرزخ في: العين (٣٣٨/٤)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٧٠-٢٧١)، والصحاح (٤١٩/١)، ولسان العرب (٨/٣).

في الجنة، ويأتيه من روحها وطيبها، ويصبح قبره روضة من رياض الجنة، ويقول: يا رب أقم الساعة حتى أعود إلى أهلي ومالي.

وأما المنافق الذي كان يعيش في الدنيا على الشك يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ويقرأ القرآن، ويتعلم العلم، ولكن ليس في قلبه إيمان، إنما يعمل هذه الأشياء لمصالح دنيوية، ليعيش مع الناس، وهو لا يؤمن بها في قلبه، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، فهذا لا يستطيع الجواب وإن كان في الدنيا يحفظ كل المتون، ويحفظ كل الأشعار والنحو والتفسير والحديث، ما دام ليس فيه إيمان لا يستطيع الإجابة في القبر في هذه اللحظة، كلما سُئِلَ قال: «هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُهُ»، يعني: يقول مثلما يقوله الناس من غير إيمان في قلبه، وإنما يقول ذلك مجاملة ومسيرة للناس - فيقال له: «لا دريت ولا تليت، فيضرب بمرزبة من حديد، لو ضُربت بها جبال الدنيا لذابت»^(١)، ثم يُضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه^(٢)، ويصبح قبره حفرة من حفر

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠): عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبَدَ لَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوْ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصْبِحُ صَنِيعَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ».

(٢) ورد في فتنة القبر أحاديث، منها: حديث البراء بن عازب، رواه أحمد في المسند (٢٨٧ / ٤)، وأبو داود في سننه (٤٧٥٣)، والطيالسي في مسنده (١٠٢ / ١) والبيهقي في الشعب =

النار، فيقول: يا رب لا تقم الساعة؛ لأنه علم أن ما بعد القبر أشد منه، فيقول: يا رب لا تقم الساعة.

هذا ما يكون في القبر، والإيمان بعذاب القبر أو نعيمه حتمٌ واجب؛ لأنه متواتر في القرآن والسنة بأدلته^(١)^(٢)، فيجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، مَنْ جَحَدَهُ مَتَعَمِّدًا فهو كافر، أما إن كان مقلدًا أو متأولًا فهذا ضال، ولكن مَنْ أَنْكَرَهُ بَعْدَ الْعِلْمِ بِهِ مَتَعَمِّدًا فهو كافر، وقد أَنْكَرَتْهُ الْمُعْتَزِلَةُ الْعُقْلَانِيَّةُ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عَقُولِهِمْ، وَيَقُولُونَ: لَوْ فَتَحْنَا الْقَبْرَ وَجَدْنَاهُ كَمَا وَضَعْنَاهُ لَيْسَ فِيهِ جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ. فنقول: أَنْتُمْ فِي عَالَمِ الدُّنْيَا وَهُوَ فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ، وَيَأْتِيهِ الْعَذَابُ أَوْ النِّعَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا تَتَسَعُّ الْعُقُولُ إِلَى إِدْرَاكِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُعْتَمَدُ عَلَى مَا صَحَّ بِهِ النُّقْلُ، وَتَوَاتَرَ بِهِ الْخَبَرُ فَنُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نَتَدَخَّلُ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

= (٣٥٨/١) وفيه عند ذكر المؤمن: «فَيُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ» وعند ذكر الكافر أو المنافق «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ»، قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، المجمع (٣/٥٠)، وفي الباب أحاديث أخرى عن غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وانظر: إثبات عذاب القبر للبيهقي.

(١) حديث فتنة القبر أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي الباب من حديث أبي هريرة، وجابر، وعائشة، والبراء، وأبي سعيد، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. انظر: فتح الباري (٣/٢٣٧، ٢٣٨).

(٢) قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٥٠): (وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به) اهـ.

أنت تشاهد الناس الآن بعضهم في سرور وبهجة وبعضهم في همٍّ وغمٍّ، وَهُمْ كُلُّهُمْ يمشون ويأكلون ويشربون وأنت لا تدري عن هذا ولا عن هذا، لا تدري عن المسرور ولا عن المغتم؛ لأن هذه أمور باطنة لا يعلمها إلا الله سبحانه.

فقوله: (فأومن بفتنة القبر) فتنة القبر يعني: الاختبار؛ لأنه يأتيه الفتانان، الملكان يسألانه ويختبرانه^(١).



(١) ورد في تسمية الملكين اللذين يسألان الإنسان في قبره بمنكر ونكير عدة أحاديث مرفوعة موقوفة عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ منهم: أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (١٠٧١)، وقال: حسن غريب. والطبراني في المعجم الأوسط (٤٤ / ٥)، ومعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البزار (٩٧ / ٧)، والبراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٨ / ١) والطبري في تهذيب الآثار (٥٠٠ / ٢)، وأبي الدرداء موقوفاً عليه عند ابن أبي شيبة (٥٣ / ٣).

وقال الهيثمي في المجمع (٥٤ / ٣): رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن، يعني من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال ابن أبي عاصم في السنة (٤٢٠ / ٢): (وفي المسألة أخبار ثابتة، والأخبار التي في المسألة في القبر منكر ونكير أخبار ثابتة توجب العلم. فترغب إلى الله أن يثبتنا في قبورنا عند مسألة منكر ونكير، والقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. آمين). اهـ.

وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة عراة
غرلا، تدنو منهم الشمس.

————— ❦ ————— الشرح ❦ —————

ثم بعد القبر البعث وهو: إعادة الأرواح إلى الأجساد وقد أنكره
المشركون والملاحدة، وقد مر بنا شيء من البراهين على ثبوته في القرآن
الكريم، وهي أدلة عقلية مذكورة في القرآن، منها:

* أن القادر على البداءة قادر على الإعادة من باب أولى، هذا دليل عقلي
ودليل سمعي أيضًا، دليل عقلي سمعي.

* ومنها أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأجسام
بعد موتها.

* ومنها أن الله سبحانه منزّه عن العيب ومنزّه عن الظلم، فلا بد من
إقامة العدل بين عباده، وهذا إنما يكون في الآخرة، ولا يكون في الدنيا.
والقيام من القبور، قال الله جَلَّوَعَلَا فِيهِ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، صَعِقَ يعني: مات، هذه نفخة الصعق،
فيصعق كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، قيل: الملائكة، وقيل:
الحوار العين^(١).

ثم يؤمر فينفخ النفخة الثانية، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين،
تطير الأرواح إلى أجسادها في النفخة الثانية، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٤-٢٥٨)، وابن كثير (٧/ ١١٧).

فَيَا يُنْظَرُونَ ﴿ تَشَقُّقُ الْأَرْضِ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ [ق: ٤٤]، يخرجون من القبور ويسيرون إلى المحشر كأنهم جراد منتشر، ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكُرٍ ﴾ ① خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴿ يعني: من القبور ﴾ كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿ [القمر: ٦، ٧]، يكسون الأرض من كثرتهم، ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ﴾ منقادين لا يتأخر أحدٌ لا الكافر ولا المسلم، لا يتأخر أحدٌ منهم ولا يستطيع التأخر، وفي الآية الأخرى: ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ ﴾ [المعارج: ٤٣]، نُصْبٌ: عَلَمٌ يذهبون إليه ويسرعون إليه، تسوقوهم الملائكة ولا أحد يتخلف.

وذلك أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ بَعثَ مَنْ فِي الْقُبُورِ أَرْسَلَ عَلَيْهَا نَوْعًا مِنَ الْمَطَرِ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ لَا يَمْنَعُ مِنْهُ شَيْءٌ، لَا السَّقُوفُ وَلَا غَيْرَهَا، يَنْفِذُ إِلَى الْأَرْضِ، وَيَدْخُلُ إِلَى الْأَجْسَامِ فِي الْقُبُورِ، فَتَنْبِتُ مِثْلًا يَنْبِتُ الْحَبُّ، وَتَنْبِي الْأَجْسَامِ كَمَا كَانَتْ (١)، ﴿ وَمِنْ عَائِنِيهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥]، ﴿ وَاسْتَمِعْ

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

بَعْدَ الْمَمَاتِ إِلَى الْمَعَادِ الثَّانِي
وَاللهُ مُقْتَدِرٌ وَذُو سُلْطَانٍ
عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا عَشْرَانِ
وَلُحُومُهُمْ كَمَنَابِتِ الرِّيحَانِ
وَتَمَخَّضَتْ فَنَفَاسُهَا مُتَدَانِ
فَبَدَا الْجَنِينُ كَاكْمَلِ الشُّبَّانِ

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ إِخْرَاجَ الْوَرَى
الْقَى عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي هُمْ تَحْتَهَا
مَطَرًا غَلِيظًا أبيضًا مُتَتَابِعًا
فَتَظَلُّ تَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَامُ الْوَرَى
حَتَّى إِذَا مَا الْأُمُّ حَانَ وَلَادُهَا
أَوْحَى لَهَا رَبُّ السَّمَاءِ فَتَشَقَّتْ

انظر: النونية بشرح ابن عيسى (١٠٧/١).

يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾، ينادي منادٍ فيقول: أيها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء^(١)، فيجتمع الإنسان من الأرض، يجتمع بدنه كما كان إلا أنه ليس فيه روح، حتى إنه لو مر عليه أحدٌ يعرفه في الدنيا لقال: هذا فلان. ما تغير منه شيء.

ثم يؤمر إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فينفخ في الصور فتطير الأرواح؛ لأن الأرواح مجموعة في الصور، تتطير كل روح إلى جسدها، ثم يُحيون ويؤمنون بالمسير إلى المحشر، يقومون من قبورهم ويسيرون إلى المحشر، ثم يجتمعون في المحشر، فيقفون على أقدامهم في ضنك وضيق وحر شديد، وتدنو الشمس من رؤوسهم ويأخذهم العرق والزحام الشديد؛ لأنه يجتمع الأولون والآخرون في صعيدٍ واحد، فيجتمعون ويعرقون عرقاً شديداً، ويختلفون في العرق، فمنهم من يلجمه العرق، ومنهم من يأخذه إلى نصفه، ومنهم من يأخذه، إلى ركبتيه إلى آخره^(٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٦/ ١٨٣).

(٢) كما في حديث المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (٦٢) (٢٨٦٤) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ - قَالَ سُلَيْمٌ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامًا. قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ».

والوقوف يكون خمسين ألف سنة، شاخصةً أبصارهم حافيةً أقدامهم، حفاة ليس عليهم نعال، عراة ليس عليهم ثياب، غرلاً يعني غير مختونين^(١)، ويقفون في هذا المحشر هذا الوقف الطويل يجمع الله سبحانه وتعالى الأولين والآخرين.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن ثلاث نفحات:

النفخة الأولى: نفخة الفزع، في سورة النمل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُفِخَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

النفخة الثانية: نفخة الموت، في سورة الزمر: ﴿وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

النفخة الثالثة: نفخة البعث، في سورة الزمر أيضاً: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]^(٢).

قوله: (تدنو منهم الشمس) حتى تكون بمقدار الميل، ولكن المؤمنون يكونون في ظلال، ﴿إِنَّ الْأَمْتَقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١]، ما يحسون بها، ﴿لَا يَخْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، فالمؤمنون في راحة في هذا اليوم، ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]، على الكافرين خاصة، ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي الْأَقَاوِرِ﴾ [المدثر: ٨]، يعني

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٣٤٩، ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٤، ٦٥٢٥، ٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: «إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ حَفَاةً عُرَاةً غُرُلًا».

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٠، ١٦/ ٣٥)، والروح (ص ٣٦).

الصور، ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المذثر: ٩، ١٠]، أما المؤمنون فيكون يسيراً عليهم، ويكونون في ظلال باردة.

هذا الحشر، أنهم يُحْشَرُونَ في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، صعيد واحد متساو ليس فيه ارتفاعات وانخفاضات ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٨]، يقومون في هذا الصعيد المستوي الذي ليس فيه انخفاضات ولا ارتفاعات.



وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وَتَوَزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾
فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿[الأعراف: ٨]﴾، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]،
وَتُنْشَرُ الدَّوَابُّ، فَأَخَذَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَأَخَذَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ.

————— ﴿ — الشَّرْحُ — ﴾ —————

الموازين: موازين الأعمال، وقد ذكرها الله في القرآن ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ
الْحَقُّ﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿[الأعراف: ٨]﴾، ﴿وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾
[المؤمنون: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي
عِشْقِهِ رَاضٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوٍ ﴿٩﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامٍ﴾ [القارعة: ٦-١١].

فالموازين ثابتة في القرآن، موازين حقيقية لها كفتان^(١)، توضع الحسنات
في كفة، وتوضع السيئات في كفة، فإن رجحت حسناته فاز ونجا، وأفلح
فلاحاً لا شقاء بعده، وإن ثقلت سيئاته فقد خاب وخسر، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ

(١) ورد ذكر الكفتين في عدد من الأحاديث، منها: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي
رواه ابن حبان في صحيحه (١٤/١٠٢)، والحاكم في المستدرک (١/٢٢٨) وصححه،
وفيه: «يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامَرَهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ،
وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وروى أحمد في المسند (٢/١٦٩، ١٧٠)
نحوه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد ورد ذكر الكفة في حديث
البطاقة الذي رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/٢١٧)، والحاكم
(٦/١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد ورد ذكر اللسان =

مُوزِنُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَايِنَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ [الأعراف: ٩]،
وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾، وفي قوله: ﴿فَأَمَّهُ هَكَايَةً ۖ ﴿١٠﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
هِيَ ۖ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

قال: (فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله)، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ
أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مَقَرٌّ أَوْ كِتَابٌ مَكِينٌ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة: ١٩]، فَرِحَ بِهِ وَيُريه الناس
﴿أَقْرَأُوا كِتَابَهُ ۖ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابٍ﴾ يعني: في الدنيا، ظننت يعني
أيقنت أني ملاقٍ حسابي، فاستعددت لذلك، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾
في جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي
الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢١-٢٤]، الخالية يعني: الماضية في الدنيا، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة: ٢٥]، هذا يقول: يا ليتني ما
رأيت هذا الكتاب، ﴿يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَّةً ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَهَا
كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧]، القاضية: يعني الموت، ليتني مت ولم آت هنا
ولم أبعث ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحاقة: ٢٨]، في الدنيا ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾﴾
[الحاقة: ٢٩]، يعني: ليس له حجة على الله جَلَّ وَعَلَا، ثم يقول الله جَلَّ وَعَلَا للملائكة:
﴿خُذُوهُ فَعْلُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠]، إلى آخر الآيات. هذا حال من أحوال القيامة في
هذه السورة، وهو متكرر في القرآن.



= مع الكفتين عند البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٦٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:
«الْمِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، يُوزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ».

وأومن بحوض نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعصرة القيامة^(١)، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

————— ❦ —❦———— الشرح —❦ —❦————

كذلك مما يكون في اليوم الآخر حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢)، وهو حوض طوله مسيرة شهر، وعرضه شهر^(٣)، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل^(٤)، آنيته عدد نجوم السماء، من يشرب منه شربة واحدة

(١) الأحاديث في إثبات الحوض للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متواترة، منها: ما أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٨٧)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال ابن حجر في الفتح (٤٦٩/١١): (فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفسًا، وزاد عليه النووي ثلاثة، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكره سواء فزادت العدة على الخمسين)، ثم قال: (وبلغني أن بعض المتأخرين وصلها إلى رواية ثمانين صحابيًا) اهـ. وانظر في مبحث الحوض: السنة لابن أبي عاصم (٣٢١/٢)، والإبانة للأشعري (ص ٢٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٢٥٠)، وشرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ ضمن مجموع فتاواه (٨/ ٥١٥-٨١٧).

(٢) فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ». أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، مسلم (٣٩) (٢٣٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧) (٢٢٩٢) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَرَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).

لا يظماً بعدها أبداً^(١)، ترد أمته عليه الحوض فيسقيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرد عليه أناس فيُمنعون، فيقول: «يَا رَبَّ أَصْحَابِي، أَصْحَابِي. فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بَعْدَكَ»^(٢)، فيُمنعون -والعياذ بالله- من الورود إلى الحوض، وهم الذين يُحدثون في الدين وابتدعون في الدين يُمنعون من ورود الحوض.

قوله: (بعرصة القيامة)، العرصة: هي المكان الواسع.

ومما يكون في يوم القيامة الحساب، يُحاسب الله جَلَّ وَعَلَا الخلائق يوم القيامة، فالكافر يُحاسب حساب تقرير ليس حساب موازنة بين الحسنات والسيئات؛ لأنه ليس له حسنات، وإنما يُقرر بأعماله الكفرية.

وأما المؤمنون فيحاسبون على أعمالهم؛ لأن لهم حسنات ولهم سيئات، ومنهم من لا يُحاسب، ويدخل الجنة بغير حساب؛ كما في حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب^(٣)، ومنهم من يُحاسب

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٣٠٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آتِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَبْقَى أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُضْجِجَةِ، آتِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْحَبُ فِيهِ مِزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرَضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٩٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٤٧٢، ٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

حَسَابًا يَسِيرًا وَهُوَ الْعَرَضُ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَى
 أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿[الانشقاق: ٨، ٩]، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنَاقِشُ الْحِسَابَ، يُحَاسِبُ حِسَابَ
 مَنَاقِشَةٍ.



وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم، يمر به الناس على قدر أعمالهم.

— — — — — الشرح — — — — —

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم، يمر به الناس على قدر أعمالهم)، بعد هذه الأحوال كلها هناك الصراط منصوب على متن جهنم، والصراط: هو الطريق^(١)، وهو ما يُسمى بالقنطرة، على متن جهنم، أي على وسط جهنم، يمر الخلائق كلهم على هذا الصراط، وهو أدق من الشعر، وأحد من السيف، وأحر من الجمر^(٢)، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم تجري بهم أعمالهم فوق الصراط:

- * فمنهم مَنْ يمر كالبرق الخاطف.
- * ومنهم من يمر كالفرس الجواد.
- * ومنهم من يمر كراكب الإبل.
- * ومنهم من يعدو عدوًّا.
- * ومنهم من يمشي مشيًا.
- * ومنهم من يزحف زحفًا.

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٢)، ولسان العرب (٧/ ٣١٤).

(٢) تكاثرت الأحاديث في وصف الصراط وأحوال الناس عليه، منها ما أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ١٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومنها ما جاء عن أبي سعيد الخدري، وأنس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، رضي الله عن الجميع.

* ومنهم من يُخطف ويُلقى في جهنم^(١).

وهذا مذكور في القرآن، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا ٦٩ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ٧٠ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ٧١ ثُمَّ نَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨-٧٢]، فإذا تجاوزوا الصراط أوقفوا للقصاص، يُقتص لبعضهم من بعضهم، فإذا هُذِّبوا ونقوا أُذن لهم في دخول الجنة.



(١) كما في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩) (١٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «... فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْنِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تُخَطَفُ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَرَّدَلُ ثُمَّ يَنْجُو».

وأومن بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه أول شافع وأول مشفع^(١).

— — — — — الشَّرْحُ — — — — —

قوله: (أومن بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، (أومن) معناه: أُصَدِّقُ وأعتقد حصول شفاعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والشفاعة: مأخوذة من الشفع، وهو ما كان أكثر من واحد، فالواحد يُقال له: وتر، والاثنان يُقال لهما: شفع. قال تعالى: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ [الفجر: ٣]، فالشفع: هو ما كان أكثر من فرد، وأما الوتر: فهو الفرد. هذا في اللغة^(٢).

وأما في الاصطلاح، فالشفاعة: يُراد بها الوساطة للمحتاج في قضاء حاجته عند من يملكها؛ لأن طالب الحاجة واحد، فإذا انضم إليه واسطة صار شفعاً بعد أن كان واحداً؛ لذلك سميت الشفاعة، وبعضهم يقول: الشفاعة: هي طلب الخير للغير.

والشفاعة على قسمين:

* شفاعة عند الله.

* وشفاعة عند الخلق.

(١) انظر مبحث الشفاعة في: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٥٢)، وباب الشفاعة في كتاب التوحيد (ص ٢٣٥) من تيسير العزيز الحميد، والواسطية مع شرحها للعلامة الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله تعالى - (ص ٥٦)، وكتاب التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص ٢١٠) للشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله تعالى -.

(٢) انظر مادة (شفع) في: العين (١/ ٢٦٠)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٧٧)، والصحاح (٣/ ١٢٣٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٠١)، ولسان العرب (٨/ ١٨٣).

والشفاعة عند الخلق تنقسم إلى قسمين:

* شفاعة حسنة.

* وشفاعة سيئة.

قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]، فإذا كانت الشفاعة في تحصيل شيء مباح وشيء نافع فهي حسنة؛ كما لو شفعت بجاهك عند السلطان أو عند ولي الأمر في قضاء حاجة أخيك، فتشفع لإخوانك في تحصيل مطالبهم المباحة ومصالحهم النافعة، فهذه شفاعة حسنة؛ لأنها من التعاون على البر والتقوى، «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(١)، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ»^(٢)، فقوله: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا» فيه بيان أن الشفاعة الحسنة فيها أجر؛ لما فيها من النفع للمحتاجين.

(١) أخرجه مسلم (٣٨) (٢٦٩٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرْتُ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ سُنَّةَ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٤٥) (٢٦٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري

وأما الشفاعة السيئة: فهي الشفاعة في أمر محرم، كأن تشفع في إسقاط حد من حدود الله لمن وجب عليه أن لا يُقام عليه الحد، فهذه شفاعة محرمة، وملعون من قام بها، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا بَلَغَتِ الْحُدُودَ السُّلْطَانُ، فَلَعَنَ اللَّهُ الشَّافِعَ وَالْمُشَفَّعَ»^(١)، ولما أراد أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يشفع في امرأة وَجَبَ عليها حد السرقة، وشق ذلك على قومها، فطلبوا من أسامة أن يشفع عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدم قطع يدها، فشفع أسامةُ وَكَلَّمَ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فغضب عليه غضباً شديداً، وقال: «اتَّشَفَّعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلُكَ الَّذِينَ قَبْلُكُمْ، أَنْتُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»^(٢)، وفي الحديث: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَوَى مُحْدِثًا»^(٣)، آواه يعني: حماه من إقامة الحكم الشرعي عليه، فالشفاعة السيئة هي ما كانت في شيء محرم.

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٢٢١/٥) من حديث الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) (٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومَةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حَبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتَّشَفَّعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلُكَ الَّذِينَ قَبْلُكُمْ، أَنْتُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

(٣) أخرجه مسلم (٤٣) (١٩٧٨) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ دَبَّحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ». وأخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (٢٠) (١٣٧٠)، =

أما الشفاعة عند الله جَلَّ وَعَلَا فهي ثابتة في القرآن وفي السنة، وذلك بأن الله يكرم بعض عباده بأن يدعو لأخيه بما يخلصه من العقاب يوم القيامة، تكريماً للشافع ورحمة بالمشفوع، فهذه هي الشفاعة عند الله، وهي: أن يأذن الله جَلَّ وَعَلَا لبعض أوليائه في أن يدعو الله بأن يتجاوز عمن استوجب العقوبة ويعفو عنه، وهذه ثابتة في القرآن، ولكن بشرطين:

الشرط الأول: أن تُطلب الشفاعة من الله جَلَّ وَعَلَا ويأذن الله بها، فلا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، بخلاف المخلوقين فقد يشفع الشفعاء عندهم ولو لم يأذنوا، بل ربما يكرهون ذلك، أما الله جَلَّ وَعَلَا فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل الإيمان، ولكن عنده ما يوجب عليه العذاب لكبيرة من كبائر الذنوب ارتكبتها، فهو من أهل الإيمان من أصحاب الجرائم التي دون الشرك، وأما المشرك فإن الله لا يرضى أن يُشفع فيه، ولا تُقبل فيه شفاعة، قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾ يعني: الملائكة

=واللفظ للبخاري عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ أَوَى مُحْدَثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ، وَقَالَ: ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بَغِيرَ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ».

﴿إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى﴾ ارتضى الله قوله وعمله وهو المؤمن، أما الكافر فإن الله لا يرتضيه، فلا تنفعه الشفاعة، قال تعالى: ﴿فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

فإذا توفر الشرطان: إذن الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع فيه، فالشفاعة حق، وإذا اختل شرط فهي شفاعة مردودة، قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هذا الشرط الأول ﴿وَرَضَى﴾ [النجم: ٢٦]، هذا الشرط الثاني، فهذه هي الشفاعة عند الله تجوز بشرطين، فإذا توفر الشرطان فالشفاعة صحيحة ومقبولة عند الله جَلَّ وَعَلَا، وإذا اختل شرطٌ فهي مردودة ولا تُقبل.

والناس انقسموا في أمر الشفاعة إلى ثلاثة أقسام: طرفان ووسط:

الطرف الأول: الذين نفّوا الشفاعة وهم الخوارج والمعتزلة، وقالوا: إِنَّ مَنْ استوجب النار لا بد أن يدخلها، بناءً - عندهم - على أنه لا يستوجب النار إلا كافر؛ لأنهم يكفرون أصحاب الكبائر من هذه الأمة، فيقولون: لا تنفعهم الشفاعة، فمن استوجب النار لا بد أن يدخلها، ومن دخلها فإنه لا يخرج منها. هذا مذهبههم، فينفون الشفاعة التي ثبتت وتواترت بها الأدلة.

الطرف الثاني: الذين غلوا في إثبات الشفاعة، وهم القبوريون والخرافيون الذين يتعلقون بالأموات، ويطلبون منهم الشفاعة، ويدعونهم، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، وإذا قيل لهم: هذا شرك. قالوا: هذا طلب للشفاعة؛ كما قال المشركون الأولون: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]،

فهم غلوا في إثبات الشفاعة حتى طلبوها من غير الله، طلبوها من الموتى والمقبورين، وطلبوها أيضاً لمن لا يستحقها وهم أهل الشرك والكفر بالله عز وجل.

الوسط: أهل السنة والجماعة توسطوا، كما هي عادتهم الوسطية في كل الأمور - والله الحمد - فلم ينفوا الشفاعة مطلقاً كما نفتها الخوارج والمعتزلة، ولم يثبتوها مطلقاً كما غلا في إثباتها القبوريون والخرافيون.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة؛ فمما يجري في يوم القيامة الشفاعة؛ ولهذا ساقها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في جملة ما يكون في اليوم الآخر، أنه يؤمن بكل ما يكون في اليوم الآخر، ومنه الشفاعة.

والشفاعة ستة أنواع:

منها ما هو خاص بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها ما هو مشترك بينه وبين غيره من الملائكة^(١)، والأولياء والصالحين^(٢)، والأطفال الأفراط^(٣) الذين يشفعون^(٤).

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (١٨٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

(٢) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (١٨٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قَالَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ، مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيُحْجُونَ. فَيَقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ».

(٣) الأفراط: هم الأولاد الصغار الذين ماتوا قبل آبائهم. انظر لسان العرب (٣٦٦/٧) مادة (فرط).

(٤) كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه الترمذي (١٠٦٢)، وأحمد في المسند =

فأما الخاص بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو:

الشفاعة الأولى: الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود، وذلك حينما يتقدم الناس في الموقف، موقف الحشر، ويطلبون من الأنبياء أن يشفعوا لهم عند الله في أن يريحهم من الموقف؛ لأنه طال عليهم الوقوف، مع ما هم فيه من الحر والضيق وطول الوقوف، حيث يقفون خمسين ألف سنة، فيتقدمون ويطلبون من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبي البشرية أن يشفع لهم عند الله في أن يفصل بينهم ويريحهم من الموقف، فيعتذر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يطلبونها من نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أول الرسل، فيعتذر، فيطلبونها من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيعتذر، ويطلبونها من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيعتذر، ويطلبونها من عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيعتذر، ثم يطلبونها من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيستعد لها، ويقول: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»^(١)، بعدما يطلبونها من أولي

= (٣٣٤/١)، وأبو يعلى (١٣٨/٥)، والطبراني في الكبير (١٢٨٨٠)، والبيهقي في الكبرى (٦٨/٤) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ مَاتَ لَهُ فَرَطَانِ مِنْ أُمَّتِي أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَمَنْ مَاتَ لَهُ فَرَطٌ؟ قَالَ: «وَمَنْ مَاتَ لَهُ فَرَطٌ يَأْمُوقَةُ»، قَالَتْ: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَطٌ؟ قَالَ: «فَأَنَا فَرَطُ أُمَّتِي لَمْ يُصَابُوا بِمِثْلِي».

وأخرج النسائي في المجتبى (٢٢/٤)، وأحمد في المسند (٤٣٦/٣)، وابن أبي شيبة (٣٦/٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٩/٧)، والطبراني في الكبير (٥٤)، والحاكم في المستدرک (٥٤١/١) من حديث معاوية بن قرة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ: «أَمَا يَسُرُّكَ أَلَّا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ». فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَّهُ خَاصَّةٌ أَوْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: «بَلْ لِكُلِّكُمْ».

(١) كما في حديث الشفاعة الذي ورد بعدة ألفاظ، منها: ما رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣)٣٢٢٦، و[١٩٢]٣٢٢٦، بلفظ أتم، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم [١٩٤]٣٢٧، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم [١٨٣]٣٠٢، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

العزم كلهم ويعتذرون إلا نبينا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يقبل أن يشفع لهم عند الله، فيخر ساجداً تحت العرش، فيدعو ربه عَزَّوَجَلَّ ويحمده، ولا يزال كذلك حتى يُقال له: «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تَسْمَعُ، وَسَلِّ تَعْطُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ»، فيشفع عند الله في أهل المحشر، في أن يفصل الله بينهم بحكمه، ويريحهم من الموقف، ويقبل الله شفاعته، فهذا هو المقام المحمود، الذي قال الله جَلَّ وَعَلَا فِيهِ: ﴿وَمَنْ أَلِيلٍ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وهو الذي يحمده عليه الأولون والآخرين، إظهاراً لفضله وشرفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الموقف العظيم.

الشفاعة الثانية: شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الجنة أن يدخلوها، وتُفتح لهم^(١)، فهو أول من يستفتح باب الجنة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(٢)؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، لا تُفتح لهم أول ما يأتون، بل عطف الفتح على مجيئهم؛ لأنه لا يُفتح لهم إلا بعد الشفاعة، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، أما الكفار - والعياذ بالله - فمن حين يصلون إلى النار تفتح لهم أبوابها، يُدْفَعُونَ إِلَيْهَا ويُدْعَوْنَ إِلَيْهَا دَعَاً - والعياذ بالله - ﴿وَسِيقَ

(١) فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ». أخرجه مسلم (٣٢) (١٩٦).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٣٣٣) (١٩٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آبَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُرَّاءٌ حَتَّى إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا ﴿الزمر: ٧١﴾،
إلى آخر الآيات، هذه الشفاعة الثانية للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخاصة به.

الشفاعة الثالثة: أنه يشفع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأناس من أهل الجنة في رفعة منازلهم في الجنة.

الشفاعة الرابعة: شفاعته في عمه أبي طالب^(١)، الشفاعة لا تنفع الكفار، ولكن نظراً لأن أبا طالب حمى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودافع عنه، وصبر معه على الضيق، وأحسن إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنه لم يوفق للدخول في الإسلام، وعرض عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام وحرص على أن يدخل في الإسلام، ولكنه أبى؛ لأنه يرى أن دخوله في الإسلام فيه مسبة لدين آبائه، حيث أخذته الحمية الجاهلية لدين آبائه، وإلا فهو يعترف أن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحق، وأن دينه هو الحق، ولكن منعتة الحمية والأنفة؛ لأنه لو أسلم بزعمه لصار ذلك سبة على قومه. وهو القائل^(٢):

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٣، ٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩): عَنِ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَعَتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْطُوكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَخْصَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٥، ٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ عِنْدَهُ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَخْصَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ».

(٢) انظر: البداية والنهاية (٤٢/٣)، وسمط النجوم العوالي (١/٣٩٤)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٩٨/٧).

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَرُ مَسَبَّةٍ لَرَأَيْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

فقد منعته الملامة وحذر المسبة على قومه، ولقد جاءه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في سياق الموت، كما في الحديث: «لَمَّا حَضَرْتُ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَمُّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ: أَتَرْغُبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَأَعَادَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكُفْ عَنْكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]»^(١).

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يشفع في إخراجهم من النار؛ لأنه مخلد في النار، ولكن يشفع في أن يخفف عنه العذاب فقط، ويُجعل في ضحضاح من نار، وفي أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه، فلا يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، مع أنه أخف أهل النار عذاباً.

فهذه الشفاعات خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢، ٦٦٨١)، ومسلم (٢٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٦/٣).

الشفاعة الخامسة: مشتركة بين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره من الملائكة، والنبين، والأولياء والصالحين، وأفراط المؤمنين، وهي الشفاعة في أهل الكبائر التي دون الشرك، يشفعون لهم ألا يدخلوا النار، وإن دخلوها يشفعون لهم أن يخرجوا منها، وهذه هي التي أنكرها الخوارج والمعتزلة، وقالوا: إن من استحق دخول النار فإنه لا بد أن يدخلها، ومن دخلها فإنه لا يخرج منها.

فقوله: (أومن) يعني: أصدق وأعتقد (بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الخاصة به، وكذلك يؤمن بالشفاعة المشتركة؛ لأن هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

(وأنه أول شافع) كما في حديث الموقف، (وأول مشفع) فهناك شفعاء ولكن هو أول الشفعاء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو أول من يُستجاب له من الشفعاء، وفي هذا رد على الذين يقولون أن الشيخ ينكر الشفاعة.



ولا ينكر شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

وهو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

— ❦ — ❦ — الشرح — ❦ —

ولا ينكر شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أهل البدع والضلال؛ كالخوارج والمعتزلة الذين يكفرون أصحاب الكبائر، ويقولون: إنهم خالدون مخلدون في النار لا تنفعهم شفاعة الشافعين. أما أهل السنة فيشتون الشفاعة، ولكن شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره من الشفعاء لا تكون إلا بشرطين، ذكرهما الله في القرآن:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، وليس كما يكون من ملوك الدنيا الذين يشفع عندهم الشفعاء ولو لم يأذنوا.

الشرط الثاني: أن يرضى عن المشفوع فيه، بأن يكون من أهل التوحيد، ومن أهل الإيمان، ولو كان عنده ذنوب يستوجب بها دخول النار، أو دخل

بها النار، فهذا مؤمن تنفعه الشفاعة بإذن الله، أما الكافر فلا تنفعه الشفاعة، إلا ما استثنى من شفاعة أبي طالب، وهذه خاصة.

وقوله: (وهو لا يرضى إلا التوحيد)، لا يرضى عن الشرك، وإنما يرضى لأهل التوحيد، (ولا يأذن إلا لأهله)، ولا يأذن للشفعاء إلا في أهل التوحيد (وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب).

قال تعالى: ﴿ فِي جَنَّتٍ يَسَاءُلُونَ ﴾ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿ ٤١ ﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿ ٤٢ ﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿ [المذثر: ٤٠-٤٣]، من الأسباب التي أدخلتهم النار: أنهم لم يكونوا من المصلين، فدل على أن من ترك الصلاة متعمداً فهو كافر مخلد في النار، وفي هذا رد على الذين يقولون: إن ترك الصلاة كفر أصغر. بل هو كفر أكبر بدليل هذه الآية ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴾ يعني لا يصلون ولا يدفعون الزكاة، والصلاة والزكاة قرينتان في كتاب الله، فدل على أن ترك الصلاة كفر من وجهين:

الوجه الأول: أن الله ذكر ترك الصلاة مع هذه الأمور التي هي كفر بالإجماع: التكذيب بيوم الدين هذا كفر بالإجماع، منع الزكاة جحداً لوجوبها هذا كفر بالإجماع، الخوض في آيات الله عَزَّوَجَلَّ هذا من الكفر بالإجماع، فدل على أن ترك الصلاة كفر؛ لأنه قرن مع هذه الأشياء.

الوجه الثاني: قوله: ﴿ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾، فدل على أن تارك الصلاة عمداً لا تُقبل فيه الشفاعة، وهذا إنما يكون في الكافر، فلو كان مؤمناً لُقبِلت فيه الشفاعة.

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنها اليوم موجودتان، وأنها لا يفنيان.

— — — الشرح — — —

مما يكون يوم القيامة: الجنة والنار، الجنة التي أعدها الله للمتقين، والنار التي أعدت للكافرين، داران لا بد من ورودهما، وهما الداران الباقيتان، دار القرار: ﴿وَإِنَّ الْأَخْرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، ليس فيها ارتحال ولا انتقال، بل أهلها يستقرون فيها أبد الآباد، فأهل الإيمان يكونون إلى الجنة التي أعدت للمتقين، وأهل النار يكونون إلى النار التي أعدت للكافرين.

والإيمان بالجنة والنار في ثلاث مسائل ذكرها هنا:

المسألة الأولى: أنها مخلوقتان، قال تعالى في كل منهما: ﴿أُعِدَّتْ﴾، أي: خلقت وهيئت، فهما مخلوقتان من جملة الخلق.

المسألة الثانية: أنها موجودتان، قال رَحِمَهُ اللهُ: (وأنها اليوم موجودتان) ردًّا على الذين يقولون: إنما توجدان يوم القيامة، أما الآن ليس هناك جنة ونار. وهذا باطل فإنهما الآن موجودتان، ودليل ذلك:

أولاً: أن الله قال في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، فقوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ هذا فعل ماضي يدل على أنها قد خلقتا، لم يقل: تُخْلَقُ أو تُعَدُّ، بل قال: ﴿أُعِدَّتْ﴾، هذه حكاية للماضي.

ثانيًا: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن ما يصيب الناس من شدة الحر، أو من شدة البرد أنه من جهنم، وجهنم لها نفسان:

* نفس في الصيف، وهذا أشد ما يجده الناس من الحر.

* ونفس في الشتاء، وهذا أشد ما يجده الناس من البرد.

فدل على أنها موجودتان، وأن هذا الحر وهذا البرد من النار والعياذ بالله^(١).

ثالثًا: أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا جالسين عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسمعوا وجبة، يعني: شيئًا سقط، قال: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا حَجَرُ رُمِي بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا^(٢)، فهذا دليل على أن النار موجودة.

رابعًا: الله جَلَّ وَعَلَا ذكر أن الميت إذا وُضِعَ في قبره يُفْتَحَ له باب إلى الجنة، ويأتيه من روحها وطيبها، وأن الكافر والمنافق يُفْتَحَ له باب إلى النار، فيأتيه من سمومها وحرها^(٣)، فهذا دليل على أنها موجودتان الآن.

المسألة الثالثة: أنها لا يفنيان، ولا يبيدان أبد الآباد، النار تبقى وأهلها

يبقون، والجنة تبقى وأهلها يبقون فيها إلى ما لا نهاية.

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧)، ومسلم (١٨٥) (٧١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْتَكَبَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكُلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ، نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَحْدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَحْدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِ».

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) سبق تحريجه (ص ٩٠).

وفي هذا رد على الذين يقولون: إن الجنة والنار تفتيان ولا يبقى إلا الله؛ لأنهما لو بقيتا لشاركتا الله في البقاء. فنقول لهما: هناك فرق بين بقاء الخالق، وبقاء المخلوق، بقاء الخالق ذاتي، وأما بقاء المخلوق فهو بإبقاء الله جَلَّ وَعَلَا له، ففرق بين هذا وهذا. ومنهم من يقول: إن الجنة تبقى، ولكن النار تفتنى. وهذا أيضًا قول خطأ، والصواب: أنهما باقيتان أبد الآباد.



وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة، كما يرون القمر ليلة
البدر لا يضامون في رؤيته.

— — — — — الشرح — — — — —

هذه المسألة من مسائل يوم القيامة أيضًا؛ لأن الشيخ لا زال رَحِمَهُ اللَّهُ يُعَدُّ ما يكون يوم القيامة، ومن ذلك: (أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم)، إكرامًا لهم في الجنة، ولا يجدون أطيب من رؤيتهم لله عَزَّجَلَّ ولا ألد من رؤيتهم لربهم عَزَّجَلَّ، وقد جاء هذا في القرآن، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الحسنى: هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله؛ كما في صحيح مسلم^(١)، وقال تعالى: ﴿لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، المزيد: هو رؤيتهم لوجه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كما جاء في التفسير^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ الأولى بالضاد من النضرة وهي البهاء والحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ بالطاء المشالة، أي ناظرة بأبصارها، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ عداه ب (إلى)، وإذا عدي

(١) أخرجه مسلم (١٨١): عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُنْذِرْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّجَلَّ».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤)، وزاد المسير (٤/ ١٦٤)، والقرطبي (١٧/ ٢١)، وابن كثير (٧/ ٤٠٧).

النظر بـ (إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار، فأبصار أهل الإيمان تنظر إلى ربها جَلَّ وَعَلَا^(١).

وكذلك قوله تعالى في الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، أي: لا يرون الله يوم القيامة، فدل على أن المؤمنين يرون الله؛ لأنه إذا حجب عنها الكفار، دل على أن المؤمنين لا يحجبون عنها؛ كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢)، وإلا لم يكن هناك فرق، لو كان الله لا يُرى يوم القيامة لما خص الكفار، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وأما الأحاديث فكثيرة جداً ومتواترة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد استقصاها الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)^(٣)، أي: استقصى الأحاديث الواردة في الرؤية، وأنها بلغت حد التواتر.

أما المعتزلة ومن سار في ركبهم فإنهم ينفون الرؤية كعادتهم؛ لأنهم لا يصدقون بالأحاديث، وإنما يتبعون عقولهم وأفكارهم، ويستدلون بالمشابهة من القرآن، مثل قوله تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِ أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَنِي ﴿[الأعراف: ١٤٣]، قالوا: ﴿لَنْ تَرَنِي﴾ هذا نفي للرؤية فدل على أن الله لا يُرى.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٠٩) مبحث تعدد النظر بـ (في) و(إلى) ومعناه.
 (٢) قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَمَّا حَجَبَ قَوْمًا بِالسُّخْطِ، دَلَّ عَلَى أَنَّ قَوْمًا يَرَوْنَهُ بِالرُّضَا). انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٤)، والتفسير البسيط (٢٣/ ٣٢٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٦١)، والبحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٢٩).
 (٣) انظر: حادي الأرواح (ص ٢٨٥-٣٤٤).

والرد على هذا من وجهين:

الوجه الأول: أنه لو كانت رؤية الله غير جائزة لما سأها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي الله وكليم الله، لا يمكن أن يسأل شيئاً لا يجوز، فدل هذا على أن رؤية الله جائزة، ولكنه لن يراه في هذه الدنيا؛ لأن المخلوقين لا يقوون على رؤية الله في هذه الدنيا؛ ولهذا ضرب الله له المثل: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِيْ وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِيْ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ يعني: مغشياً عليه، فدل على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يطبق رؤية الله في هذه الدنيا، وكل مخلوق لا يطبق رؤية الله في هذه الدنيا لضعف المخلوقين في هذه الدار.

أما في الجنة، فالله يُعطي المؤمنين قوة على أن يروا ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الوجه الثاني: أن الله جَلَّ وَعَلَا لم يقل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إني لا أرى، بل قال: ﴿لَنْ تَرِنِيْ﴾ يعني: في هذه الدنيا، و(لن) لا تقتضي النفي مطلقاً، وإنما تقتضي النفي المؤقت؛ ولهذا يقول ابن مالك في (الكافية الشافية) ^(١):

وَمَنْ يَرَى النَّفْيَ بِرَنْ مُّؤَبَّدًا فَقَوْلُهُ ارْزُدْ وَخَالَفَهُ اَعْضَدَا

فلن للنفي غير المؤبد؛ ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا في اليهود: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] يعني: الموت، وفي الآخرة يتمنون الموت، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا بِمَمْلِكٍ لِّيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مِّنْكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ففي يوم القيامة يطلبون الموت مع أنهم في الدنيا لن يتمنوه، فدل على أن (لن)

(١) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك (١١٥/٢).

لمطلق النفي ولا تقتضي تأييداً، وإنما هو نفي مؤقت، والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ يعني: في الدنيا، فليس لهم متمسك في هذه الآية.

الشبهة الثانية: تمسكوا بظاهر قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قالوا: ﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾ يعني: لا تراه.

والجواب أن يقال: ليس معنى ﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾ أنها لا تراه، لكن معناه أنها لا تحيط به، والإدراك معناه الإحاطة، والله لم يقل: لا تراه الأبصار، بل قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾ ونفي الإدراك، لا يلزم منه نفي الرؤية، فقد يرى الإنسان الشيء ولا يدركه كله، فأنت مثلاً: ترى الشمس، ولكن هل تدركها كلها، فما كل ما يرى يدرك كله، فالآية ليس فيها نفي الرؤية، بل فيها نفي الإدراك. يعني: وإن رآته فهي لا تدركه؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا أعظم من كل شيء، فلا يحاط به جَلَّ وَعَلَا، فليس في الآية دليل على نفي الرؤية، وإنما فيها نفي الإدراك فقط.

فقوله: (يرون ربهم بأبصارهم) رد على من يقول: يرونه بقلوبهم. لأن الرؤية قد تكون قلبية، وتكون بصرية، وهم يقولون: يرونه بقلوبهم. لو كان بقلوبهم ما قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كما ترون القمر ليلة البدر)^(١)، وكما

(١) كما في حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٢١١) (٦٣٣) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرْنَا إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].»

ترون الشمس صحواً ليس دونها سحب^(١)، هل الشمس تُرى بالقلب أو بالبصر؟ الجواب: بالبصر.

وقوله: (كما يرون القمر ليلة البدر) كما يرون البدر عند تمامه ليلة الخامس عشر؛ لأن القمر يتكامل ليلة الرابع عشر والخامس عشر؛ ولهذا تسمى ليالي الإبدار، يعني: تكامل القمر، فأنت تراه واضحاً، وكل الناس يرونه ليلة البدر واضحاً، كل أهل الأرض يرونه جلياً، والشمس لا مرية أن الناس يرونها كل يوم.

وقوله: «لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» يعني: كل يراه بسهولة ويسر بدون زحام ولا خطر؛ لأن الناس ربما يتزاحمون على الشيء الواحد، ويحصل خطر أو موت أو دهنس، ولكنهم يرون ربهم مِنْ غير مضارة ولا زحام، وهذا حتى في المخلوق، فالناس كلهم يرون القمر ولا يتزاحمون على رؤيته، ويرون الشمس ولا يتزاحمون على رؤيتها، فإذا كان هذا في المخلوق، ففي الخالق من باب أولى.



(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣)، ومسلم (٢٩٩) (١٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ...».

وأومن بأن نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته.

— — — — — الشَّرْحُ — — — — —

لما ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة الرسالة بعض أصول الاعتقاد الذي سُئِلَ عنه، ذكر في هذا اعتقاده في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن أول أصول الاعتقاد شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، فشهادة أن لا إله إلا الله يدخل فيها كل ما يتعلق بالرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ تَوْحِيدِهِ بِأقسامه الثلاثة، وما يتعلق بأفعاله، وبكلامه وكل ما يتعلق بالرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كله يدخل في شهادة أن لا إله إلا الله، ثم شهادة أن محمدًا رسول الله، وهي الإقرار والاعتراف برسالة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يعتقدها بقلبه، وينطق بلسانه، ويُتَّبَعُ ذلك باتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطاقته وامتنال أمره واجتناب نهيه وتصديق خبره.

كل هذا يدخل في شهادة أن محمدًا رسول الله، يدخل فيها الإيمان بعموم رسالته إلى الجن والإنس -الثقلين- ويدخل فيها الإيمان بأنه خاتم النبيين لا نبي بعده^(١)، كل هذا يدخل في شهادة أن محمدًا رسول الله، فلا بد من الاعتراف بالقلب والنطق باللسان، فلا يكفي النطق باللسان دون اعتقاد القلب بأنه رسول الله، فلما نفقون يشهدون أنه رسول الله بألسنتهم ﴿إِذَا

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وأحمد في المسند (٢٧٨/٥)، والحاكم في المستدرک (٤/٤٩٦) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن صحيح)، وأصل حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه مسلم (٢٨٨٩): «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمْنِي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي».

يُعبد الله إلا بما شرع^(١)، فالعبد ما دام يشهد أنه رسول الله فلا بد أن يتقيد بما جاء به، ولا يخالفه بالبدع والمحدثات.

قوله: (خاتم النبيين) يعني: آخر الأنبياء، ليس بعده إلا قيام الساعة، ولهذا يُسمى نبي الساعة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِأَصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»^(٢)، فهو نبي الساعة، وبعثته من علامات الساعة، لا نبي بعده، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(٣).

فالذي لا يعتقد ختم الرسالة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كافر، أي: الذي يقول: يجوز أنه يُبعث نبي بعد الرسول. هذا كافر؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين؛ كالقاديانية الذين يعتقدون نبوة غلام القادياني^(٤)، وكذلك الذين اعتقدوا نبوة مسيلمة، ونبوة الأسود العنسي.

(١) انظر: (ثلاثة الأصول) مع شرحها للمؤلف - حفظه الله - (ص ١٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢١٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه البخاري (٤٩٣٦)، (٥٣٠١) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (١٣٣) (٢٩٥١)، (١٣٥) (٢٩٥١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري (٦٥٠٥)، ومسلم (٤٢) (٢٩٨٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٤٣) (٨٦٧) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) سبق تخريجه (ص ١٢٧).

(٤) هي فرقة نشأت عام ثمانية عشر وثلثمائة وألف في شبه القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، ورأس هذه الفرقة هو ميرزا غلام أحمد القادياني، المولود في قرية =

ومن ادعى النبوة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو مرتد بذلك عن الإسلام، فإن تابوا تاب الله عليهم، مثل: طليحة الأسدي الذي ادعى النبوة ثم تاب من ذلك فتاب الله عليه وقُتل شهيداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسجاح التميمية التي ادعت النبوة ثم تابت فتاب الله عليها، أما مَنْ ادعى النبوة أو صدَّق مَنْ يدعيها فهو كافر مرتد عن دين الإسلام؛ لأنه لا نبي بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا حاجة إلى النبي بعد الرسول، ولا حاجة إلى كتاب ينزل بعد القرآن؛ لأن الله أغنى العالم بهذا الرسول وبهذا الكتاب، فرسالته عامة في الزمان والمكان، فهي عامة في الزمان إلى أن تقوم الساعة، وعامة في المكان لجميع أقطار الأرض، كلها عامة إلى أن تقوم الساعة وشاملة وكافية للخلق، وإنما تكون بعثة الرسل عند الحاجة، والعالم ليس بحاجة لبعثة رسول أو إلى نزول كتاب بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد القرآن.

=قاديان في البنجاب بالهند سنة ١٢٥٥هـ، كان معروفاً عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات، وله أكثر من خمسين كتاباً ونشرة ومقالاً، على هذا المعتقد الخبيث، منها: «إزالة الأوهام»، و«إعجاز أحمدى»، و«براهين أحمدية»، و«أنوار الإسلام»، وغيرها، وقد هلك بالطاعون في سنة ١٣٢٦هـ.

ويعيش معظم القاديانيين الآن في الهند وباكستان، ومن معتقدتهم الخبيث أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- كما يعتقدون أن النبوة لم تُختم بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل هي جارية، وأن الله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً، وكل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية.

وفي شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف أصدر مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة، قراره الذي أعلن فيه كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام. انظر: القاديانية لإحسان إلهي ظهير، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبد القادر شبيرة الحمد.

وأما نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان - كما تواترت بذلك الأخبار - فهو حق، ولكنه ينزل على أنه تابع لهذا الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحكم بشريعة الإسلام، ويكون تابعاً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ولا يبقى إلا دين الإسلام، فبعد نزول المسيح لا يبقى إلا الإسلام الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو مجدد لدين الإسلام وتابع للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا نبي بعد الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (والمرسلين)؛ لأن بعض الملاحدة يقول: الرسول يقول: (لا نبي بعدي) ولا يمنع أن يُبعث رسول؛ لأنه قال: (لا نبي بعدي)، فالممنوع هو النبوة أما الرسالة فلا - يا سبحان الله!! لا يكون الرسول إلا نبياً - فبينهما عموم وخصوص، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

وقوله: (ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته)، لا بد أن يشهد بنبوته ويؤمن برسالته، أي: بأنه نبي رسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والرسالة أعم من النبوة، فمن أبى أن يشهد أنه رسول الله فهو كافر، أو لم يعترف بأنه خاتم النبيين، وأجاز أن يُبعث بعده رسول فهو كافر، وقال: إن رسالته خاصة بالعرب وليست عامة؛ كما يقولوه بعض النصاري، الذين يؤمنون برسالته ولكن يقولون: إنه نبي للعرب خاصة، وهذا كفر؛ لأنه لا بد من الإيمان بعموم رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضي، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم.

— — — — — الشرح — — — — —

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم أفضل قرون هذه الأمة، وأفضل المسلمين على الإطلاق لا يساويهم أحد، لامتيازهم بصحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والجهاد معه، وتلقي العلم عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعندهم ميزات ليست عند غيرهم من المؤمنين، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفُهُ»^(٢)، فنهى عن سب أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتنقصهم وبغضهم، ثم يَبَيِّنُ فضلهم، وأن أعمالهم أفضل من أعمال غيرهم، فالصدقة مثلاً: لو تصدق الإنسان بمثل جبل أحد ذهباً خالصاً ما بلغ المد - وهو ربع الصاع - الذي يتصدق به واحد من صحابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا لفضلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولمكانتهم، والعمل يضاعف لشرف العامل عند الله تعالى.

فهم أفضل قرون هذه الأمة على الإطلاق، وتجب محبتهم وتوقيرهم واحترامهم وإجلالهم وعدم تنقص أحد منهم، ولا يجوز الدخول فيما حصل

(١) سبق تخريجه (ص ٦١).

(٢) سبق تخريجه (ص ٥٨).

بينهم وقت الفتنة، ولا يجوز أن نخطئ فلائاً ونصوب فلائاً من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم كلهم مجتهدون، ولا يجوز أن نتلمس أخطاءهم، ونقول: فلان فعل كذا؛ لأن لهم من الفضائل ما يغطي أخطاءهم إن حصلت، فإن حَصَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ شَيْءٌ فَلَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا يَغْطِي هَذِهِ الْأَخْطَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأفرادهم ليسوا معصومين، فقد يحصل من أفرادهم خطأ، ولكن عندهم من الفضائل ما يغطي هذا الخطأ، أما إجماعهم فهم معصومون فيه، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معصومون بجماعتهم.

ثم هم يتفاضلون، فأفضلهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة: طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد والزبير بن العوام وأبو عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هؤلاء شهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم بالجنة، ومات وهو عنهم راضٍ، -رضي الله عنهم وأرضاهم-، فهم أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(١).

ثم أصحاب بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفضل من غيرهم؛ لأن الله اطلع عليهم، وقال: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غُفِرَتْ لَكُمْ»^(٢)، ثم أصحاب بيعة الرضوان

(١) حديث العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في الكبرى (٨١٣٨)، وابن ماجه (١٣٣)، وأحمد (٢٠٩ / ٣)، ولفظ عند الترمذي: عن عبد الرحمن بن عوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ».

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤). وانظر: تفسير القرطبي (٥٢ / ١٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٣٢٥ / ٥)، والدرر السنية (٤٧٣ / ١).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وهي صلح الحديبية - الذين بايعوا تحت الشجرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]، أخبر سبحانه أنه رضي عنهم فمنحهم رضاه، ثم المهاجرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفضل من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ ولهذا دائما يأتي ذكر المهاجرين قبل الأنصار في القرآن، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر: ٨] إلى أن قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾، يعني: الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يأتي ذكر المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قبل الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهم أفضل؛ لأنهم تركوا أوطانهم وأموالهم وأولادهم وخرجوا لنصرة الله ورسوله، ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، أشنى الله عليهم بالصدق، فهم يتفاضلون - رضي الله عنهم وأرضاهم -.

ومن أسلم قبل فتح مكة فهو أفضل ممن أسلم عام الفتح أو بعده، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا﴾ [الحديد: ١٠]، فالذين أسلموا قبل الفتح أفضل من الذين أسلموا بعد الفتح، ولكن يشتركون كلهم في صحبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فضيلة عامة ويتفاضلون فيما بينهم.

قوله: (وإن أفضل أمته أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)؛ لأنه أول الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو الذي بايع له الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واختاروه؛ لأنه أفضلهم.

قوله: (ثم عمر الفاروق)؛ لأنه هو الخليفة بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد اختاره أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعهد إليه، وهذا يدل على أنه أفضل الأمة بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).

قوله: (ثم عثمان)، هو الثالث؛ لأن أصحاب الشورى الستة الذين عهد إليهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اختاروا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لفضله، ومكانته.

قوله: (ثم علي المرتضى)، علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزوج ابنته، وأبو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، وله من الفضائل أنه: «يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢)، فله فضائل عظيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا معنى قول الشيخ: (ثم بقية العشرة)، أي: العشرة المبشرين بالجنة. قوله: (ثم أهل بدر)؛ لأن الله اطلع عليهم فقال: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ خَفَرْتُ لَكُمْ».

قوله: (ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان)، الذين بايعوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت الشجرة على القتال، بايعوه على الموت لما منع المشركون

(١) ثبت ذلك من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٠١)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٠١)، وروى أبو داود طرفاً منه (٤٦٢٩) عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: «قَالَ عَلِيٌّ: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ أَخْبَرْتُكُمْ بِالثَّالِثِ لَفَعَلْتُ». وأخرج البخاري (٣٦٧١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه من دخول مكة للعمرة، فأرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يفاوضهم، فجاءت إشاعة أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ، فعند ذلك عزم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قتالهم، فطلب من أصحابه البيعة فبايعوه، وكانوا ألفاً وأربعمائة، بايعوه على الموت^(١)، ثم تبين أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يُقتل، ثم جرى الصلح بين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل مكة كما هو معلوم، والشاهد أن الله ذكر هذه البيعة، وأثنى على أهلها ورضي عنهم^(٢).

قوله: (ثم سائر الصحابة)؛ لأنهم يشتركون في الصحبة، فكلهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أولهم وآخرهم لا يساويهم أحد.



(١) انظر: بيعة الشجرة في: البخاري (٤١٦٩)، ومسلم (١٨٦٠). وانظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ١٣٥)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٣١٥)، والروض الأنف (٧/ ٨٢)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣١٩).

(٢) انظر قصة صلح الحديبية في: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٨-٣٢٣)، والروض الأنف (٧/ ٧٦)، وتاريخ الطبري (٣/ ٧١)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣١٢-٣٣٧).

وأَتولى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي الله عنهم، وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساوئهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

— — — — — الشَّرْحُ — — — — —

قوله: (وأَتولى أصحاب رسول الله) يعني: أتولاهم بالمحبة والتوقير والاتباع والافتداء، هذا معنى توليهم، بخلاف أهل الزيغ وأهل الضلال، وفي مقدمتهم الشيعة الذين يتنقصون أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسبونهم ويكفرونهم، ويقولون: إنهم ظلموا أهل البيت وأخذوا الخلافة واغتصبوها، وهي لأهل البيت. كما يكذبون ويفترون على المسلمين، وخلافاً للخوارج الذين كفروا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقاتلوهم واستحلوا دماءهم.

قوله: (وأذكر محاسنهم) هذا الواجب على المسلم أنه يذكر محاسنهم ويتراضى عنهم، ويقول: رضي الله عنهم، كل واحد منهم إذا جاء ذكره يقول: رضي الله عنه؛ لأن الله قال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فرضى الله عنهم وأرضاهم.

ويتراضى عنهم ويشني عليهم ولا يتنقص أحداً منهم أو يتلمس أخطاءهم ويشهر أخطاءهم؛ كما يفعله أهل الزيغ وأهل الضلال، أو الجهال الذين يقولون: نحن نبحت في التاريخ، ونحن نريد التحقيق التاريخي. ويبحثون في

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وما حصل بينهم وقت الفتنة، الفتنة هذا شيء جرى، وهم ما اختاروا الفتنة، ولكن جرى قضاء الله، ووقعت عليهم الفتنة، وابتلوا بها، فهذا حصل من غير اختيارهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم يريدون الخير، يريدون نصرة الدين ويجتهدون في هذا، فنحن لاندخل في هذا أبداً، وإن دخلنا فنعتذر عنهم.

قوله: (وأستغفر لهم) عملاً بالقرآن، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، لما ذكر المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ هذا موقف المسلم من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (وأكف عن مساوئهم)، فلا أبحث عن مساوئهم وأنبش عن الأشياء التي قيلت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في الواسطية: (إِنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغَيْرَ عَنْ وَجْهِهِ وَالصَّحِيحِ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْدُورُونَ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُحْطِئُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ وَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفَرَةً مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ هُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو

السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ^(١)، وهم على كل حال مأجورون، ثم لهم من الفضائل ما يُغطي ما يحصل من الخطأ الذي قد يحصل من أفرادهم، فالصحة تُغطي كل هذا.

وأما ما شجر بينهم وقت الفتنة، فهذا ليس باختيارهم ابتلوا به بسبب دعاة الضلال الذين اندسوا بينهم؛ كعبد الله بن سبأ والذين اتبعوه، فصاروا ينشرون الفتنة حتى صارت الحرب، أول الفتنة تنقص ولي الأمر، حيث تنقصوا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وطعنوا فيه، ثم آل الأمر إلى أن قتلوا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما قتلوه انفتح باب القتل والفتنة، فهذا أمرٌ جرى عليهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابتلوا به، فلاندخل فيما شجر بينهم، ونخطئ علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو نخطئ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما ندخل بينهم في هذا أبداً، هذا كله صادر عن اجتهاد، كلهم يريد نصره الحق.

قوله: (وأعتقد فضلهم)، نعتقد أنهم أفضل الأمة، فهذا الاعتقاد واجب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ والغل: هو البغض والحقد، فلا يكن في صدرك أو في قلبك بغض أو غل أو حقد لأحد من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء.

— — الشرح — —

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يترضى عن أمهات المؤمنين -زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهن أمهات المؤمنين في القدر والاحترام لا في النسب، ولكن في القدر والإجلال، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أبو المؤمنين في القدر لا في النسب ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] يعني في النسب؛ لأن هذا رد على الذين يقولون: إن زيد بن حارثة ابنٌ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله نفى هذا، ولكن ليس معنى هذا أنه ليس أباً لهم في القدر والإجلال، قال تعالى: ﴿وَأَزْوَجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وفي قراءة: «وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ»^(١)، يعني: في القدر والإجلال.

وأما إنهن أمهات المؤمنين فهذا بنص القرآن الذي يُقرأ إلى يوم القيامة ﴿وَأَزْوَجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ بمعنى: أنه لا يجوز لأحد أن يتزوج منهن بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهن زوجاته في الجنة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فهن محرمات على الأمة؛ لأنهن زوجاته في الدنيا والآخرة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكفى بذلك فضلاً لهن؛ ولأنهن حَمَلْنَ مِنَ الْعِلْمِ وَالشَّرْعِ مَا بَلَغَنَّهُ الْأُمَّةُ، حَمَلْنَهُ

(١) قرأها ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والحسن. انظر: الدر المنثور للسيوطي (٦/٢٦٧).

عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلهن الفضل، ولهن الإجلال، - رضي الله عنهن جميعاً -.

والذين يطعنون في زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطعنون في النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فالذين يطعنون في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وهم الشيعة - هؤلاء يطعنون بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الرسول يحبها ويحب أباهَا، ولها مكانة عند الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُرَّضٌ عندها، وتوفي بين سحرها ونحرها، وكان رأسه في حجرها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(١) وفضلها عظيم؛ لقربها من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزول الوحي على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في فراشها، ولها فضائل عظيمة.

فالشيعة الذين يطعنون في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هؤلاء لا شك أنهم بذلك يعادون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويؤذونه، فمن آذى عائشة فقد آذى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله أنزل براءتها مما أتهمت به من المنافقين في حادث الإفك ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿الْحَيْثُ ثُ لِّلْخَيْثِثِ وَالْخَيْثُ ثُ لِّلْخَيْثِثِ وَالْطَّيِّبُ ثُ لِّلطَّيِّبِ وَالطَّيِّبُ ثُ لِّلطَّيِّبِ﴾ [النور: ٢٦]، ما كان الله ليختار لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امرأة خائنة في فراشها، فإذا طعن فيها فقد طعن في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا طعن في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا طعن في الله جَلَّ وَعَلَا، وهذا كفر، كفر أكبر.

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٩)، ومسلم (٨٤) (٢٤٤٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَتَعَدَّرَ فِي مَرَضِهِ: أَتَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ، أَتَيْنَ أَنَا غَدًا، اسْتَبْطَأَ لِيَوْمِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي، قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَخْرِي وَنَحْرِي وَدُفِنَ فِي بَيْتِي».

والذين لا يبرئون عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مما اتهمها به المنافقون هؤلاء كفار؛
لأنهم مكذبون لله ولرسوله ولإجماع المسلمين.

وقبلها مريم ابنة عمران اتهمها اليهود -لعنهم الله- فبرأها الله مما قالوا،
فالشبهة فيهم شبه من اليهود من عدة وجوه وهذا أقربها.



وأقرّ بكرامات الأولياء، وما لهم من المكاشفات.

— — — الشَّرْحُ — — —

لما فرغ رَحِمَهُ اللَّهُ مما يجب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يجب لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما يجب لأهل بيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ انتقل إلى بيان الاعتقاد في كرامات الأولياء^(١).

والكرامات: جمع كرامة، وهي الأمر الخارق للعادة الذي يجري خارقاً للعادة، ويكون من الله جَلَّ وَعَلَا لا دخل للبشر فيه^(٢)، إن جرى على يد نبي فهو معجزة، مثل:

* تكثير الطعام القليل بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونبع الماء من بين أصابعه، وأعظم من ذلك نزول القرآن، وهو المعجزة العظيمة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أعجز الجن والإنس أن يأتوا بسورة منه.

* عصا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والآيات التسع التي أعطها الله عزَّ وجلَّ لموسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

* ما أُعطي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

فهذه معجزات، وما أُعطيها نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المعجزات كثيرٌ جداً.

(١) انظر مبحث كرامات الأولياء في: شرح الطحاوية (ص ٥٥٨)، والعقيدة الواسطية (ص ٤٥، ٤٦)، ولشيخنا صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - حفظه الله - تفصيل متمع وشافي في هذا الباب. انظر اللآلئ البهية في شرح الواسطية (٢/ ٤٨٩ - ٥١٩).

(٢) انظر تعريف الكرامة في اللغة: لسان العرب (١٢/ ٥١٠)، وأساس البلاغة (١/ ٥٤١)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٨٤).

أما إن جرت الخارقة على يد عبد صالح وليس نبياً فهي كرامة من الله جَلَّ وَعَلَا مثل: الذي جرى لمريم لما كانت معترلة في مكان ومتخذة حجاباً دون الناس، ويأتيها رزقها وهي في مكانها، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧]، يعني: الْمُصَلَّى الذي تصلي فيه، كلما دخل عليها زكريا مصلاها وهو المحراب ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنَزُّمُ أَنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

ومثل: الذي جرى لأصحاب الكهف من الكرامات؛ لأنهم مؤمنون، تبرؤوا من دين المشركين، وخرجوا من البلد وأووا إلى غارٍ فراراً بدينهم، فالله ضَرَبَ عليهم النوم سنين طويلة حتى زادت شعورهم وأظفارهم، وهم يتقلبون من جنب إلى جنب، ومضت عليهم سنون كثيرة وهم لم يتغيروا، وهم في نومهم، هذا من كرامات الأولياء.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)^(١)، وهو كتاب نفيس جداً في هذا الباب.

أما إذا جرى الخارق على يد كافر أو على يد ساحر، فهذا ليس كرامة، وإنما هذا خارق شيطاني، فالساحر قد يطير في الهواء، ويمشي على الماء، ويدخل في النار ولا تحرقه، وهذا عمل شيطاني وليس بكرامة، وهو ابتلاء وامتحان.

(١) كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، مطبوع، والله الحمد بشرح شيخنا العلامة/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان -حفظه الله- في مجلدين، مكتبة الإمام الذهبي بالكويت.

فنحن نؤمن بكرامات الأولياء، وأنها منحة من الله. قال أهل العلم^(١):
كرامات الأولياء معجزة للأنبياء؛ لأنهم ما حصلوا على هذه الكرامات إلا
باتباعهم للأنبياء، فهي كرامة للأولياء ومعجزة للأنبياء -عليهم الصلاة
والسلام-، والناس في الكرامات على ثلاثة أقسام، طرفان ووسط:

الطرف الأول: من ينكر الكرامات، وهم المعتزلة، ينكرون كرامات
الأولياء، ويقولون: ليس هناك كرامات ولا خوارق. لأنهم يعتمدون على
عقولهم ولا يعتمدون على الأدلة، فينكرون الكرامات.

الطرف الثاني: فريقٌ غلا في إثبات الكرامات حتى عدوا مخاريق السحرة
والكهنة والصوفية كرامات، وهي خوارق شيطانية وليست كرامات، هؤلاء
غلوا في إثبات الكرامات حتى اعتقدوا أن كل شيء يخالف العادة فهو كرامة،
ولو كان جرى على يد ساحر وكاهن ومشرّك، فيقولون: هذه كرامة. ولذلك
يعبدون القبور، ويقولون: إن صاحبها حصل له كرامات وحصل له كذا
وكذا، ويطلبون منه المدد، وهذا غُلُوٌّ في أصحاب الكرامات.

الثالث: أهل السنة والجماعة فيتوسطون، يثبتون الكرامات الصحيحة،
أما خوارق الشياطين وما يجري على يد الشياطين فهذه ليست كرامات، وإنما
هي شيطنة وابتلاء وامتحان، فقد يطير الساحر في الهواء، ويمشي على الماء
ويحصل له أشياء، ولكن هذا بفعل الشياطين، وقد يخبر عن أشياء غائبة؛ لأن
الشياطين تخبره، إذا هو عبدهم وخضع لهم خدموه، ﴿رَبَّنَا أَسْتَغْنِ عَنْ بَعْضِنَا

(١) انظر: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٣٠).

يَبْعُضُ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا ﴿[الأنعام: ١٢٨]﴾، فإذا تقرب الإنسي إلى الجن وخضع لهم خدموه، وهم يقدرّون على ما لا يقدر عليه الإنس، فيظن الجاهل أن هذه كرامة، وهي ليست كرامة، وإنما هي شيطنة، فيجب التنبه لهذا في أمور فالكرامات لا تُنفى مطلقاً ولا تثبت مطلقاً، وإنما يُفصلُ فيها فيكون الإنسان على بصيرة.

وقوله: (وما لهم من المكاشفات)، يعني: الفراسة، يعطي الله بعض المؤمنين فراسة، يتفرس فيها الأشياء، وتحصل كما تفرسها.



إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله.

————— ❦ ————— الشَّرْحُ ————— ❦ —————

قوله: (لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً) هذا احتراز من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو رد على الذين يغلون في أصحاب الكرامات، ويعبدون الأولياء والصالحين من دون الله، ويقولون: لهم كرامات.

كما عليه القبوريون الذين يتقربون إلى الأموات، ويعتقدون في بعض الأحياء أنه وصل إلى درجة يستطيع فيها أن ينصرهم وأن يعطيهم أشياء لا يقدر عليها إلا الله، بناءً على أن له كرامات، فيقولون: إن له كرامات وهذا دليل على أنه ينفع ويضر.

فالمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يرد على هؤلاء، وغالب ما عليه القبوريون مبني على هذا الوهم، الغلو في أصحاب الكرامات، فنحن نحب الصالحين، والذين تجري على أيديهم كرامات، نحبه ونجلهم ونفتدي بهم، ولكن لا نعطيهم شيئاً من العبادة كما يفعله الخرافيون.

قوله: (من حق الله تعالى) وحق الله هو العبادة؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦، ٥٩٦٧، ٦٢٦٧)، ومسلم (٣٠) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: (ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله)؛ كإجراء الرزق وشفاء المريض وهبة الولد وغير ذلك، هذا لا يقدر عليه إلا الله، أما ما يقدرُونَ عليه من أمور الدنيا فيطلب منهم إذا كانوا أحياء، حتى ولو كان ليس لهم كرامات، تطلب من الإنسان أن يساعدك بالمال؛ كأن يكون غنياً تطلب منه أن يقرضك أو يتصدق عليك، وإذا وقعت في كربة تطلب منه يساعدك في الخروج منها، وفي الحديث: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١)، فيُستَغاثُ بالملخوق الحي فيما يقدر عليه؛ كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْهُ أَلَدَى مِنْ شَيْعَنِهِ عَلَى أَلَدَى مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، استغاث بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَلَدَى مِنْ شَيْعَنِهِ﴾ من بني إسرائيل ﴿عَلَى أَلَدَى مِنْ عَدُوِّهِ﴾ من آل فرعون ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾ أغاث هذا الرجل المظلوم، وكما يستغيث الرجل بأصحابه في الحرب وغيرها يستنجد بهم، فالاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه لا بأس بها، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

أما الاستغاثة بالأموات فلا تجوز مطلقاً؛ لأن الأموات لا يقدرُونَ على شيء، لا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا غيره، هم في عالم وأنت في عالم آخر،

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فلا تطلب من الأموات شيئاً بحجة أن لهم كرامات، وأنهم يقدرون، هذا باطل، فالميت لا يُطلب منه شيء ولو كان من أفضل الناس.

وكذلك الحي لا يُطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله، لا يُطلب منه شفاء المريض، أو إعطاء الولد، أو جلب الرزق له، فلا يُطلب من المخلوق شيء لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكنني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرج من دائرة الإسلام.

— — — — — الشرح — — — — —

هذا معتقد أهل السنة والجماعة، أنهم لا يشهدون لأحد معين بجنة، ولو كان من الصالحين، ولا يشهدون لأحد بالنار ولو كان من الكافرين؛ كأن تقول: هذا من أهل الجنة، أو هذا من أهل النار. هذا لا يجوز إلا لمن أطلعه الله على الغيب وهو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يطلعه على الغيب كله، ولكن على شيء من المغيبات، ومن ذلك أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهد لأناس بالجنة، فنحن نشهد أنهم من أهل الجنة؛ كالعشرة المبشرين بالجنة من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم: الخلفاء الأربعة، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هؤلاء شهد لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة^(١)، وثابت بن قيس بن شماس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة^(٢)، فهو لاء نشهد لهم؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهد لهم بأعيانهم، فنقول: فلان في الجنة، أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الجنة، عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في

(١) كما في الحديث الذي سبق تخريجه (ص ١٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١٨٧) (١١٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَفْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُتَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا سَأَلْتُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ حِطَّ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ =

الجنة، طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كل هؤلاء في الجنة؛ لأن الرسول أخبر أنهم في الجنة.

والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوى، وإن كان هذا من الغيب، ولكن الله أطلع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الغيب، ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (١٦) إِلَّا مَنْ أَرَضْنِي مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿[الجن: ٢٦، ٢٧]، يُطلع الله الرسل على شيء من المغيبات؛ لأجل مصلحة البشر.

وكذلك لو كان كافرًا أو فاسقًا فإننا لا نشهد له بالنار؛ لأننا لا ندري عن خاتمته، لا نشهد لأحد بالجنة وإن كان من الصالحين؛ لأننا لا ندري عن خاتمته بم يُحْتَمَ له؟ ولا نشهد لأحد بالنار ولو كان كافرًا لأننا لا ندري بم يُحْتَمَ له؟ والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا» (١).

= أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ: فَرَجَعَ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِإِسَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

(١) أخرجه البخاري (٣١٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤)، ومسلم (١) (٢٦٤٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، =

والخواتيم لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَنَحْنُ لَا نَشْهَدُ لِلْمَعِينِ، أما العموم فنحن نشهد على الكفار أنهم في النار من غير تعيين فلان، نقول: الكافرون في النار، والمؤمنون في الجنة على العموم، قال تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، فلا شك أَنَّ الكفار في النار من غير تعيين أشخاص إلا بشهادة، ولا شك أن المؤمنين في الجنات من غير تعيين أشخاص إلا بشهادة من لا ينطق عن الهوى.

وهذا من التأدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَنَحْنُ لَا نَشْهَدُ لِلْمَعِينِ إلا بدليل، ولكننا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجهم من دائرة الإسلام)، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون بالكبائر التي دون الشرك؛ كالزنا والسرقة وشرب الخمر وأكل الربا، هذه كبائر موبقات ولكن لا يحكمون على صاحبها بالكفر، بل يحكمون عليه أنه ناقص الإيمان، فهي كبائر تُنقص الإيمان، وحكم صاحبها أَنَّهُ تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فنحن لا نكفر إلا من كفره الله ورسوله بالأدلة من الكتاب والسنة ويأجماع أهل العلم.

=وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا.

وأما أن نكفر بالكبائر التي دون الشرك فهذا مذهب الخوارج والمعتزلة الضلال الذين يحكمون على مرتكبي الكبائر أنهم كفار وأنهم مخلصون في النار -نسأل الله العافية- هذا معتقد باطل يخالف الأدلة.

لكن من استحل محرماً مجمعا على تحريمه فهذا كافر؛ كما لو استحل الربا، أو الخمر، أو الزنا، أو حَرَّمَ شيئاً مجمعا على حله فهذا كافر؛ لأنه مكذبٌ لله ولرسوله ولإجماع المسلمين، فمسألة التكفير لها ضوابط عند أهل السنة والجماعة، أما مجرد ارتكابه للكبيرة التي دون الشرك فهذا خطر بلا شك، وهو متوعد بالنار والغضب، ولكن لا نحكم عليه بالكفر، بل نقول: إنه مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة هو معرض للوعيد الذي ورد، إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه، ولكن إذا عذبه لا يُخلد في النار كالكفار بل يُخرج منها إلى الجنة.

ولا يخرج من دائرة الإسلام بل يبقى في دائرة الإسلام، فيكون معه أصل الإسلام وأصل الإيمان، لكن يكون إيمانه ضعيفاً؛ لأن المعاصي تُنْقِصُ الإيمان.

وانظر إلى كلام هذا الإمام الذي قال عنه خصومه إنه يكفر المسلمين، فهو ينفي عن نفسه هذه التهمة الباطلة، ويبين ما هو عليه.



وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام برّا كان أو فاجرًا، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة.

— — — — — الشرح — — — — —

الجهاد: هو بذل الجهد في قتال الكفار لإعلاء كلمة الله، فالغرض من الجهاد هو إعلاء كلمة الله ونشر التوحيد وإبطال الشرك؛ لأن الدين لله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالعبادة حق لله، فمن عبد غير الله فإنه يُدعى إلى الرجوع إلى الإسلام والتوبة وإخلاص التوحيد فإن أبى فإنه يُقاتل.

لأن الله بعث رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة والجهاد، بالدعوة أولاً ثم الجهاد بعد ذلك؛ لئلا ينتشر الكفر، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يعني: شرك، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ ليس فيه عبادة لمخلوق بل العبادة للخالق سُبحَّانَهُ وَتَعَالَى.

هذا هو الغرض من الجهاد، وهو نشر التوحيد ومحو الشرك من الأرض؛ لأن الله خلق الخلق لعبادته، فإذا عبدوا غيره فيما أن يتوبوا ويرجعوا وإما أن يُقاتلوا؛ لأنهم لو تركوا النشر والكفر؛ لأن الكفار يدعون إلى الكفر، فالكافر إذا كان كفره ينتشر يُقاتل، أما إذا كان كفره قاصراً عليه، ولا يدعو إليه، وليس له نشاط في نشر الكفر، وإنما هو مقتصر على نفسه فهذا لا يُقاتل، مثل: كبار السن من الكفار والنساء والأطفال والرهبان في صوامعهم، هؤلاء لا يُقاتلون؛ لأن

كفرهم قاصرٌ عليهم، وكذلك من خضع للإسلام وبذل الجزية فإنه لا يُقاتل، بل يُترك على دينه وتؤخذ منه الجزية، ويكون تابعاً لحكم الإسلام، وهذا شره يقتصر عليه، ومعلوم أن الذي تؤخذ منه الجزية أنه لا يدعو إلى الكفر، فلو دعا إلى الكفر لانتقض عهده، فهو مستسلم تحت حكم الإسلام ويدفع الجزية التي فيها الذلة والصغار، فهذا يُترك، والشيخ الكبير، والصبي، والأطفال، والنساء الذين لا يتعدى كفرهم إلى غيرهم، والرهبان الذين تركوا الناس وانعزلوا في صوامعهم للعبادة، هؤلاء لا يقتلون أيضاً.

دَلَّ هذا على أن دين الإسلام ليس دين قتل وسفك دماء، وإنما هو دين رحمة وعدل يريد أن يُخرج الناس من الظلمات إلى النور لصالحهم هم، وكم حَصَلَ في الجهاد من منافع للناس، فالذين أسلموا من الكفار من الأعاجم أنقذهم الله من النار لو تُرِكُوا لصاروا من أهل النار، فأسلموا وحسن إسلامهم وخرج منهم العلماء الأفاضل، فهذه ثمرات الجهاد في سبيل الله عَزَّجَلَّ، فالجهاد هو ذروة سنام الإسلام، ولكن الجهاد له شروط:

الشرط الأول: أن يكون بالمسلمين قوة يقوون بها على جهاد الكفار، أي: عندهم عدة واستعداد لجهاد الكفار، فإذا لم يكونوا على استعداد؛ كأن يكون فيهم ضعف والكفار أقوى منهم، فلو قاتل المسلمون الكفار لأبيدت خضراء المسلمين، فلا يجوز القتال في هذه الحالة؛ لأن هذا يلزم عليه مفسدة أكبر من المصلحة، وهي تسلط الكفار على المسلمين؛ ولهذا فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقي في مكة ثلاثة عشر عاماً مقتصرًا على الدعوة إلى الله، والمسلمون يُؤذَنُون ويُضَايِقُونَ ولم يؤمر بالجهاد، بل الله أمرهم بالصبر وكف الأيدي حتى يأذن

الله جَلَّ وَعَلَا لَهُم بِالْجِهَادِ: ﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧]، هذا في مكة، أمروا بكف أيديهم، ولكن مع هذا يقومون بالدعوة إلى الله عَزَّجَلَّ، فلما هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، وانتشر الإسلام وكان بالمسلمين قوة أمره الله بالجهاد؛ لأنهم صاروا أقوياء ومستعدين للجهاد، وهذا ليس خاصًا بالوقت الأول، هذا عام للمسلمين إلى آخر الزمان، إن كان عندهم قوة واستطاعة يجب عليهم الدعوة والجهاد، وإذا كان ليس عندهم قوة فيبقون على الدعوة، وأما الجهاد فيؤجلونه إلى وقت القدرة على ذلك؛ لأنهم لو قاتلوا وهم ضعفاء لتسلط عليهم الكفار وتغلبوا عليهم.

الشرط الثاني: أن يكون الجهاد تحت راية يعقدها ولي أمر المسلمين، وليس كُلُّ يُجَاهِد، وكُلُّ يُقَاتِل، وكُلُّ يُكُونُ له جماعة، هذا لا يجوز في الإسلام، هذا ضررٌ على المسلمين أنفسهم قَبْلَ أن يضرُوا الكفار؛ لأن المسلمين يتناحرون فيما بينهم، كل واحدٍ يُريدُ أن يكون هو الذي يظفر بالنتيجة، وجُرب هذا في عصابات قاتلت العدو، فلما انهزم العدو واندحر تقاتلوا فيما بينهم، كُلُّ يريد أن يكون هو الذي يأخذ السلطة، هذا نتيجة أنهم ما قاتلوا تحت راية واحدة وتحت إمام واحد، وإنما تفرقوا إلى عصابات وجماعات، فلا يجوز هذا في الإسلام، لابد أن يكون الجهاد تحت راية مَوْحَّدة.

ولهذا قال الشيخ: (وأرى الجهاد ماضيًا مع كل إمام) أي: إمام للمسلمين يقودهم وينظمهم، ويشرف عليهم، ويُعدُّ العدة ويُسلِّحهم، لابد أن يكون الجهاد تحت راية الإمام وبأمره حتى ينجح الجهاد، أما إذا كان بدون إمام

وبدون راية فإنه يؤول إلى الفشل في النهاية، فقلوه: (مع كل إمام) دل على أنه يُشترط وجود الإمام الذي يُقاتل تحت رايته.

ولا يُشترط في الإمام أن يكون بارًا مائة بالمائة مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز والصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لا يُشترط أن يكون الإمام صافيًا ليس فيه نقص، بل ولو كان فاجرًا، يعني: فاسقًا فسقه لم يصل إلى حد الكفر، فإذا بقيت إمامته فإنه يبقى له صلاحية الجهاد ويُطاع في الجهاد، ويُصلى خلفه؛ لأنه مسلم، ولو كان عاصيًا، ولو كان فاسقًا، ولو كان جائرًا وظالمًا؛ لأن المصلحة في الجماعة أرجح من المصلحة في التفرق عليه والاختلاف عليه.

هذه مسألة عظيمة يغفل عنها كثير من الحماسيين الذين ليس عندهم فقه في الدين، يقولون: كيف نطيعه وهو فاسق وهو عاصٍ؟

الجواب: نطيعه للمصلحة العامة، وارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما مطلوب في الإسلام، ودرءُ المفسد مقدمٌ على جلب المصالح، والمسلمون قاتلوا مع الحجاج ومع يزيد بن معاوية وهم فساق لجمع الكلمة، بل كان هناك صحابة في راية يزيد بن معاوية في غزو القسطنطينية، منهم أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقاتلوا مع الحجاج وهو معروف بالظلم، فهو ظالمٌ فاتك باطش؛ لكن لأجل مصلحة الإسلام والمسلمين، وتُغتفر المسألة الجزئية في مقابل المصلحة العامة الكلية، هذه قاعدة في الإسلام.

فلا يُشترط في الإمام الذي يتولى أمور المسلمين ويقودهم للجهاد أن يكون صالحًا مستقيمًا مائة بمائة، بل ولو كان عنده شيء من المعاصي والمخالفات ما دام لم يصل إلى حد الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ، ولكن الجهال المتحمسين لا يتحملون هذا الكلام؛ لأنهم جهال، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تحملوه وأطاعوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك لفقههم وإيمانهم، أما الجهال المتحمسون فلا يتحملون هذا، والمغرضون أيضًا لا يتحملون هذا، فهم أناس قد يكونون ليسوا بجهال يعرفون هذا، لكنهم مغرضون يريدون تشتيت المسلمين، فيحرضونهم على ولاتهم بسبب أن الولاة يرتكبون أشياء من الأخطاء، وذلك لأجل تفريق الكلمة وإضعاف المسلمين، فيجب الفطنة لهذه الأمور والحذر منها وعدم الاندفاع بدون فقه وبدون علم.

هذه مسألة عظيمة، الآن حصل فيها سوء فهم، وحصل فيها تضليل بسبب الجهل أو بسبب الهوى.

وقوله: (برًّا) وهو: الصالح المستقيم، (أو فاجرًا) يعني: فاسقًا، ولكن لم يصل إلى حد الكفر؛ لأن المصلحة في طاعته والجهاد معه أرجح من المفسدة في الصبر على فسقه وعلى مخالفته.

قوله: (وصلاة الجماعة خلفهم جائزة) لا شك أن صلاة الجماعة خلف الأئمة الفساق جائزة وصحيحة، ما داموا يصلون فصل خلفهم، فقد صلى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خلف الحجاج، وصلوا خلف عبيد الله بن زياد، وصلوا خلف الأمراء الفساق الذين يشربون الخمر، وكذلك خلف الوليد بن عقبة، وصلوا خلفهم لأجل جمع الكلمة، وهؤلاء مسلمون تصح صلاتهم، وما دامت تصح صلاتهم فتصح إمامتهم جمعًا للكلمة.

والجهادُ ماضٍ منذ بعث الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل.

————— ❦ ————— الشرح ❦ —————

الدجال: هو المسيح الدجال الكذاب، سُمي بالدجال لكثرة الدجل عنده والكذب^(١)، وما عنده من الفتنة الشديدة، وكل نبي حذر أمته فتنة المسيح الدجال، وأشدّهم تحذيرًا نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه أقرب الناس إلى خروجه^(٢)، وهو يخرج في آخر الزمان، يخرج في اليهود، وَتَجْمَعُ الْيَهُودُ فِي فلسطين الآن هذا إرهاب لخروج الدجال؛ لأنه يخرج في اليهود قبحهم الله^(٣). ويحصل منه فتنة عظيمة ويدور في البلاد، وما مِنْ بَلَدٍ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَكَّةَ والمدينة، فإنه لا يدخلها، ولكن الأشرار الذين في مكة والمدينة يخرجون إليه، ولا يبقى فيها إلا أهل الإيمان؛ لأنَّ المدينة إذا جاء الدجال ترجف فيخرج منها كل منافق، ولا يبقى فيها إلا أهل الإيمان الصادق^(٤).

(١) انظر مادة (دجل) في: العين (٦/٨٠)، وتهذيب اللغة (١٠/٣٤٤)، والصحاح (٤/١٦٩٥)، ومقاييس اللغة (٢/٣٢٩)، ولسان العرب (١١/٢٣٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٥٦)، والترمذي (٢٢٣٤)، وأحمد (٣/٢٢٢) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إِلَّا وَقَدْ أُنْذِرَ الدَّجَالُ قَوْمَهُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْوهُ».

(٣) أخرجه مسلم (١٢٤) (٢٩٤٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطِّيَالِسَةُ».

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (١٢٣) (٢٩٤٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: =

ثم ينزل عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ مسيح الهداية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ينزل من السماء، ثم يطلب الدجال فيقتله في باب لُدٍّ في فلسطين، يقتله وينصر الله الإسلام والمسلمين^(١)، ويحكم المسيح بن مريم بدين الإسلام، بدين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقوى الإسلام في عهده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(٢)، ثم بينما هم كذلك إذ ظهرت يأجوج ومأجوج الذين ذكر الله عَزَّجَلَّ فيأمر الله عيسى أَنْ يُحَرِّزَ المسلمين إلى الطور، ويقول: «إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّور»^(٣)، فيعيشون في الأرض فسادًا ويدبحون في

= قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقَبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسَّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يُخْرَجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ».

(١) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧) عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطْرًا، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ بَتْنِي حَيْثُ بَتْنِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يَدْرِكَهُ بَبَابٍ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ...». وانظر: البداية والنهاية (١٩ / ٢٣٧ - ٤٣٩).

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (٧٥ / ٢).

(٣) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧) عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُجَدِّدُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّور، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بَحِيرَةٍ طَبْرِيَّةٍ فَيَسْرُبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُخَصِّرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ =

المسلمين مذابح، ثم يُنزل الله بهم المرض فيقتلهم عن آخرهم ويموتون عن آخرهم، فيفرج الله للمسلمين بذلك، هذه قصة خروج الدجال باختصار، فنحن نؤمن بخروج المسيح الدجال.

وهناك كتاب جهال يقولون: لا يوجد دجال وإنما هذا عبارة عن كثرة الكذب في آخر الزمان، وليس هناك نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما هذا عبارة عن ظهور الحق. وهذا إنكار للمتواتر من سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل إن القرآن دل على نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩]، هذا دليل على أنه ينزل في آخر الزمان، واليهود الذين كفروا به في الأول يؤمنون به، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾، وفي الآية الأخرى قال في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]، يعني أن نزوله في آخر الزمان علامة على قرب قيام الساعة، وفي قراءة: (وَإِنَّهُ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ)^(١)، فنزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء علامة على قرب قيام الساعة، فهو من علامات الساعة وأشراتها.

= لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُضْبِحُونَ فَرَسِي كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتٌ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ...».

(١) قرأها ابن عباس وقتادة والضحاك، انظر: تفسير الطبري (٩١/٢٥).

فقوله: (إلى أن يُقاتل آخر هذه الأمة الدجال)، فيقاتلونه ويُقاتلون اليهود وتصير ملاحم بين المسلمين واليهود، وينصر الله المسلمين، «حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»^(١)، فيقتلون اليهود مقتلة عظيمة، وينصر الله المسلمين عليهم.

قوله: (لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل) يعني: أن الجهاد لا يبطله جور جائر، فلا أحد يمنع الجهاد، ويقول: ليس فيه جهاد والإسلام ليس دين قتال. والآن يقولون هذا، يقولون: الإسلام ليس دين جهاد ولا دين سفك دماء، نقول: نعم الإسلام ما هو بدين سفك دماء، ولكنه دين جهاد لا لأجل سفك الدماء وإنما لأجل مصلحة البشرية، والله جَلَّ وَعَلَا يقول في حق نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالْعَالَمِينَ أن شرع الجهاد لإنقاذهم من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، فنحن لا نقاتل الكفار طمعاً في أموالهم أو في دمائهم أو في بلادهم، وإنما نقاتلهم لنشر الإسلام ولصالحهم، فدخولهم في الإسلام من مصلحتهم هم؛ ليموتوا على الإسلام ويدخلوا الجنة، ولكن لو تركوا وماتوا على الكفر دخلوا النار، فالجهاد هو لمصلحة الكفار أكثر؛ لأنه إنقاذ

(١) أخرجه مسلم (٨٢) (٢٩٢٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغُرَقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».

لهم من الكفر، ومن النار، ومن الجهل، ومن الضلال، ترون ثمرات الجهاد في المشرق والمغرب ماذا أنتج من الخير، ماذا أنتج من نشر العلم، ومن نشر التوحيد، ومن انتشار الإسلام وقمع الظلم.

وقوله: (ولا عدل عادل) يعني لا أحد يمنع الجهاد، حتى لو كان المنع من سلطانٍ عادل، فالجهاد لا يسقط، لا نقول: حصل المقصود، فالعدل الآن منتشر والناس في خير، فالجهاد ماضٍ بحكم الله سبحانه، ولكن بهذه الشروط:

أولاً: أن يكون بالمسلمين قوة على الجهاد.

ثانياً: أن يكون الجهاد تحت راية ولي الأمر الموحدة، ينظمهم ويساعدهم، ويكون ردءاً لهم يرجعون إليه.

ثالثاً: أن يكون الجهاد لإعلاء كلمة الله، وليس من أجل طمع الدنيا، أو الظهور في الأرض.



وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمرُوا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه.

————— ❦ ————— الشَّرْحُ ❦ —————

من أصول العقيدة السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، بعد أن أَمَرَ بطاعته وطاعة رسوله أمر بطاعة ولادة الأمور من المسلمين، وقوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ يعني: من المسلمين، أما إذا لم يكن مسلماً فلا طاعة له، فيُشترط فيه أن يكون مسلماً، وعندئذ تكون طاعته واجبة، والخروج عليه معصية محرمة، هذا أصل من أصول الإسلام وبه تجتمع كلمة المسلمين وتقوى شوكتهم.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما طلب منه أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الوصية، حيث شعروا بقرب أجله فطلبوا منه الوصية، قال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ»؛ لأن النظر ليس لشخصه، وإنما النظر لمنصبه، العبرة بمنصبه لا بشخصه، «وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»^(١)، فطاعة ولي الأمر عصمة من الاختلاف؛ ولهذا لما سأل

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٢٦/٤)، والدارمي (٩٥) من حديث العرياض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الفتن عند ظهورها قال له: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»^(١)، فأمر حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ظهور الفتن أن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم؛ لأنه عصمة من الفتن، وعصمة من الاختلاف ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥] فالاختلاف شر والاتفاق رحمة.

فقوله: (برهم وفاجرهم)؛ كما سبق لا يُشترط في ولي أمر المسلمين أن يكون صالحاً مائة بالمائة - كالخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - بل تجب طاعته ولو كان عنده شيء من المخالفات والمعاصي التي لا تصل إلى حد الكفر والخروج من الدين، ففساده عليه، ولكن إمامته لصالح المسلمين.

ولما سُئِلَ بعض الأئمة قيل له: فلان تقي لكنه ضعيف، وفلان فاسق ولكنه قوي أيهما يصلح للإمامة؟

قال: الفاسق القوي؛ لأن الصالح الضعيف صلاحه لنفسه، وضعفه يضر المسلمين، والفاسق فسقه على نفسه، وقوته للمسلمين.

وقوله: (برهم وفاجرهم) هذا خلاف الخوارج والمعتزلة الذين يخرجون على الأئمة الفجار، يعني: الأئمة العصاة، يُراد بالفجار هنا: العصاة.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد في المسند (٣٧٣/٢٨)، والدارمي (٩٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٠/١)، والطبراني في الكبير (٢٤٩/١٨)، وفي الأوسط (٢٨/١)، والحاكم في المستدرک (١٧٤/١).

وقوله: (ما لم يأمرُوا بمعصية الله)، فتجب طاعتهم، فإذا أمرُوا بمعصية، «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»^(١)، لكن لا تنخلع بيعتهم إذا أمرُوا بمعصية، ولا نطيعهم في هذا، لكن تبقى طاعتهم فيما هو معروف وليس فيه معصية، نخالفهم في المعصية ونطيعهم في غير المعصية.

قوله: (ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته)، هذا فيما تنعقد به الإمامة.
قالوا: تنعقد الخلافة بأحد ثلاثة أمور:

الأمر الأول: اختيار أهل الحل والعقد له، فإذا اختاره أهل الحل والعقد وبايعوه لزمت طاعته؛ كخلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنها ثبتت باختيار أهل الحل والعقد، وليس بلازم أن يختاره كل المسلمين كما في الانتخابات، هذا ليس في نظام الإسلام، بل يكفي أهل الحل والعقد من العلماء والأمراء وأهل الرأي والمشورة، فإذا اختاروا إماماً للمسلمين لزمت طاعته على جميع المسلمين، ولا أحد يقول: أنا ما اخترت، أنا ما بايعت؛ كما يقوله بعض الجهال الآن.

أنت من المسلمين، والمسلمون اختاروا هذا الرجل إماماً لهم، فلا يجوز لك أن تشذ وتخرج منهم، بل قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُوا دِمَائِهِمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ»^(٢) وإذا

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٤٤/٦)، وأحمد (٣٣٣/٢)، والقضاعي في مسند الشهاب (٥٥/٢)، والطبراني في الكبير (١٧٠/١٨)، والأوسط (١٨١/٤)، وذكره الهيثمي في المجمع (٢٢٦/٥)، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.

وأخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (٣٩) (١٨٤٠)، في حديث طويل.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود (٤٥٣٠)، والترمذي (٢١٢٧)، والنسائي في المجتبى (١٩/٨)، =

كان أدناهم يسعى بذمتهم، فكيف بأهل الحل والعقد والمشورة والرأي؟ فالصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أطاعوا لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أن الذين بايعوه هم قادة المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة، وكذلك عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اختاره أهل الشورى الستة الذين عهد إليهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد عهد إلى بقية العشرة الذين توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عنهم راضٍ، فالستة اجتمع رأيهم على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فبايعوه فلزمت طاعته جميع المسلمين وانقادوا له.

الأمر الثاني: ولاية العهد، فإذا عهد ولي الأمر إلى أحد من بعده تلزم طاعته، وتنعقد إمامته؛ كما عهد أبو بكر لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فسمعوا له وأطاعوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الأمر الثالث: إذا كان الناس لهم إمام؛ فقام رجل فيه شجاعة وقوة ورأي وتغلب على الناس بسيفه حتى خضعوا له، فهذا تلزم طاعته، ويمثلون لهذا بعبد الملك بن مروان، فالناس في عهده كانوا بدون إمام عام، فقام الرجل بشجاعة وشهامة وقوة ورأي فقاتل وتغلب وأطاع له المسلمون، فصار إماماً لهم وانعقدت إمامته بذلك.

أما من يأتي والمسلمون لهم إمام وينازع الإمام ويريد أن يخلع الإمام ليصبح بدلاً عنه، فهذا يجب على المسلمين قتله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَاكُمْ

= والكبرى (٦٩١٠)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٨٥) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه ابن ماجه (٢٦٨٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأصله في الصحيحين من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَذْنَاهُمْ»، أخرجه البخاري (٣١٧٩)، ومسلم (٤٦٧) (١٣٧٠).

وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُضَرَّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»^(١)، فنحن مع ولي الأمر، إذا قام عليه أحد فنحن معه في دفع هذا الخارج على جماعة المسلمين، نقاتله وندحض شره عن المسلمين؛ لئلا يُفكك الكلمة، وذلك للمصلحة العامة.

هذا هو اعتقاد الشيخ في السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، وفي هذا رد على الذين يصفونه بالخروج على الولاة.



(١) أخرجه مسلم (٦٠) (١٨٥٢) من حديث عرفة رَحِمَهُ اللَّهُ عَنَّهُ.

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر، وأكل سرائرهم إلى الله، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة.

— ❦ — الشرح — ❦ —

البدع: جمع بدعة، وهي ما أحدث في الدين من العبادات التي ليس عليها دليل من كتاب أو سنة^(١)؛ لأن العبادات توقيفية، فلا نعمل شيئاً منها إلا بدليل من الكتاب والسنة، فمن جاء وأحدث شيئاً يتقرب به إلى الله من ذكر أو صلاة أو عبادة ويقول: هذا زيادة خير.

فيقال له: لا، هذا زيادة شر وليس هو زيادة خير؛ لأن الدين كامل لا يقبل الإضافات والزيادات، فقد توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدين كامل، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فالله شهد لهذا الدين بأنه كامل، فلا يقبل الزيادة والإضافات، حسبنا أننا نعمل بما في هذا الدين من العبادات، أما أن نزيد ونقول: هذه زيادة خير؛ فهذه بدعة، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢)، وكان في خطبه يقول: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ

(١) انظر: العين (٢/ ٥٤)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٤٢)، والصحاح (٣/ ١١٨٣)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٦٤).

كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ^(١)، فهذا فيه رد على الذين يقسمون البدعة إلى حسنة وسيئة^(٢)، فالبدع في الدين ليس فيها شيء حسن وإنما كلها سيئة؛ لأن الرسول

(١) أخرجه مسلم (٤٣) (٨٦٧) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى البخاري نحوه (٧٢٧٧) موقوفاً على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا، وَ﴿إِنَّكَ مَا تُوَعَّدُونَ لَا تَلَأِبُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤]».

(٢) انظر: الاعتصام (١/ ٢٤١ - ٢٤٢)، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَا يُورَدُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَسَّمُوا الْبِدْعَ بِأَقْسَامِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ الْخَمْسَةِ، وَلَمْ يُعَدُّوْهَا قِسْماً وَاحِداً مَذْمُوماً، فَجَعَلُوا مِنْهَا مَا هُوَ وَاجِبٌ وَمَنْدُوبٌ وَمُبَاحٌ وَمَكْرُوهٌ وَمُحْرَمٌ. وَبَسَطَ ذَلِكَ الْقَرَأِيُّ بَسْطاً شَافِئاً وَأَصْلُ مَا آتَى بِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْخُهُ عَزَّ الدِّينُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، وَهَذَا آتَى بِهِ عَلَى نَصِّهِ... فَقَالَ: «... وَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ أَمْرٌ مُحْتََرَجٌ، لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ، بَلْ هُوَ نَفْسُهُ مُتَدَافِعٌ؛ لِأَنَّ مِنْ حَقِيقَةِ الْبِدْعَةِ أَنْ لَا يَدُلَّ عَلَيْهَا دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ؛ لَا مِنْ نُصُوصِ الشَّرْعِ، وَلَا مِنْ قَوَاعِيدِهِ.

إِذْ لَوْ كَانَ هُنَالِكَ مَا يَدُلُّ مِنَ الشَّرْعِ عَلَى وَجُوبٍ أَوْ نَذْبٍ أَوْ إِبَاحَةٍ؛ لَمَا كَانَ تَمَّ بِدْعَةً، وَلَكَانَ الْعَمَلُ دَاخِلاً فِي عُمُومِ الْأَعْمَالِ الْمَأْمُورِ بِهَا أَوْ الْمُخَيَّرِ فِيهَا، فَالْجَمْعُ بَيْنَ كَوْنِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ بِدْعاً، وَبَيْنَ كَوْنِ الْأَدْلَةِ تَدُلُّ عَلَى وَجُوبِهَا أَوْ نَذْبِهَا أَوْ إِبَاحَتِهَا جَمْعٌ بَيْنَ مَتَنَيْنِ.

أَمَّا الْمَكْرُوهُ مِنْهَا وَالْمُحْرَمُ؛ فَمُسَلَّمٌ مِنْ جِهَةٍ كَوْنُهَا بِدْعاً لَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، إِذْ لَوْ دَلَّ دَلِيلٌ عَلَى مَنَعِ أَمْرٍ أَوْ كَرَاهِيَةٍ؛ لَمْ يُنْبِتْ بِذَلِكَ كَوْنَهُ بِدْعَةً؛ لِإِمْكَانِ أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً؛ كَالْقَتْلِ وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَنَحْوِهَا، فَلَا بِدْعَةَ يُتَصَوَّرُ فِيهَا ذَلِكَ التَّقْسِيمُ الْبَتَّةَ، إِلَّا الْكَرَاهِيَةُ وَالتَّحْرِيمُ حَسْبَمَا يُذَكَّرُ فِي بَابِهِ.

فَمَا ذَكَرَ الْقَرَأِيُّ عَنِ الْأَصْحَابِ مِنَ الْإِتِّفَاقِ عَلَى إِنْكَارِ الْبِدْعِ صَحِيحٌ، وَمَا قَسَّمَهُ فِيهَا غَيْرُ صَحِيحٍ. اهـ. بتصرف.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، وهذا المبتدع يقول: ليس كل بدعة ضلالة بل منها شيء حسن، فهذا يرد على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الشاعر^(١):

خَيْرُ الْأُمُورِ السَّائِفَاتُ عَلَى الْهُدَى وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحْدَثَاتُ الْبِدَائِعُ

فالذي يقول: إن هناك بدعة حسنة، يقال له: هذه بدعة ضلالة وشر، وليست حسنة، فليس في الدين بدعة حسنة أبداً، فنجتنب البدع، ونقتصر على السنن، ففيها خير وكمال، ولا يكفي أننا نجتنب البدع، بل نهجر المبتدعة، ولا نجلس معهم، ولا نصادقهم حتى يتركوا البدعة؛ لأننا إذا صادقناهم وجالسناهم شجعناهم على البدعة، فنحن نهجرهم بمعنى أننا نترك مجالستهم ونترك مصادقتهم حتى يتوبوا إلى الله.

هذا الواجب على أهل السنة، أنهم يهجرون أهل البدع، ولو حصل هذا لما انتشرت البدع، ولكن لما حصل التساهل مع المبتدعة، صاروا يعيشون في الأرض فساداً، وينشرون البدع، ولا يوجد من ينكر عليهم، صاروا أصدقاءنا وجلساءنا وانتشرت البدع بهذه الطريقة، أما لو أن أهل البدع هُجروا لقل شرهم.

فقول الشيخ: (وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم) الهجر: هو الترك^(٢)،

(١) هذا البيت كان مالك ينشده كثيراً ويمثل به. انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٣٨/٢)، والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب (١/١١٥)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٣٠٧/٥).

(٢) انظر الهجر في اللغة في: النهاية في غريب الأثر (٥/٢٤٣)، ولسان العرب (٥/٢٥٠)، ومختار الصحاح (ص ٢٨٨).

يعني: تركهم وعدم الجلوس معهم وعدم مصادقتهم، (حتى يتوبوا)، فإذا تابوا تاب الله عليهم، وصاروا جلساءنا وأحبابنا.

وقوله: (وأحكم عليهم بالظاهر) أي: نحكم على الناس بالظاهر لنا، ولاندرى عن القلوب، ولكن من فعل الخير شهدنا له بالخير بناءً على الظاهر، ومن فعل الشر شهدنا له بالشر بناءً على الظاهر، وأما القلوب فلا يعلمها إلا الله.

لكن المرجئة الآن يقولون: من فعل الكفر أو الشرك أو منكراً فإنك لاتحكم عليه بما ظهر منه؛ لأنك لا تدري عن الذي في قلبه.

وقول الشيخ: (وأعتقد أن كل محدثة بدعة)، بخلاف من يقول: إنه هناك محدثات في الدين فيها خير، بل كل محدثة في الدين بدعة، وهذا مأخوذ من حديث: «فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»^(١).

أما أمور العادات؛ كالملايس والمساكن والمراكب، هذه مما خلق الله لنا ليس فيها بدعة، الأولون ما كانوا يركبون السيارات ونحن نركبها؛ لأنها مما أباح الله لنا، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، فأمر العادات والملايس والمساكن والمراكب والمزارع، هذه كلها من الأمور التي لا تدخل في العبادة بل نستخدمها في العبادة، ونستعين بها على العبادة، ونركب السيارة للحج، ونركبها لطلب العلم، ونركبها للجهاد، ومكبرات الصوت نستخدمها لإلقاء الخطب

والمحاضرات، ونستعين بها على العبادة؛ لأنها مما أباح الله لنا أن نستعين بها، وليست بدعاً، إنما هي مما خلق الله لنا، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، فالأصل في هذه الأمور الإباحة، أما العبادات فالأصل فيها الحظر إلا بدليل، أما في العادات والملابس والمراكب والمأكول والمشرب الأصل فيها الإباحة إلا ما دَلَّ الدليل على تحريمه.



وأعتقد أن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان،
يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة
أن لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق.

— — — الشرح — — —

هذا شروع في مبحث الإيمان، ولقد تكرر ذكره في القرآن في مواضع
كثيرة، ومدح الله أهله ووعدهم بالجنة والثواب العظيم.

والإيمان مرتبة من مراتب الدين؛ لأن الدين ثلاث مراتب؛ كما في
حديث جبريل^(١): الإسلام، والإيمان، والإحسان.

فالإسلام: يتكون من خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً
رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله
الحرام، هذه من الأفعال الظاهرة.

والإيمان يتكون من ستة أركان بينها النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ،
وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(٢)، ولا بد من
اجتماعهما في العبد، أي: لا بد من اجتماع الإيمان والإسلام في العبد، فيكون
مسلياً مؤمناً، مسلياً في ظاهره يؤدي أركان الإسلام، ومؤمناً في باطنه يؤمن
بهذه الأركان الستة، فلا يكون مسلياً فقط، وليس عنده إيمان، فهذا شأن

(١) سبق تخريجه (ص ٢٦).

(٢) سبق تخريجه (ص ٢٦).

المنافقين الذين يُظهرون الإسلام في الظاهر، فيصلون ويصومون ويقولون: لا إله إلا الله، ويحجون، ولكن ليس عندهم إيمان في القلب ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وهؤلاء في الدرك الأسفل من النار، وكذلك العكس، لا يكون مؤمناً بدون الإسلام، مصداقاً ومؤمناً بهذه الأركان بقلبه لكن ليس عنده إسلام فلا يصلي ولا يزكي ولا يصوم ولا يحج، هذا ليس بمؤمن حتى يكون مسلماً يؤدي الأركان الظاهرة والباطنة، فلا بد من هذا، فالإيمان مجموع اعتقاد القلب وعمل الجوارح ونطق اللسان.

ولهذا يقول أهل السنة والجماعة - كما ذكره الشيخ هنا -: أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل الجوارح. لابد من هذه الأمور الثلاثة: نطق باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، هذا تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة الذين هم على سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذين هم الفرقة الناجية من بين الفرق الضالة التي توعدّها الله بالنار، هذا الإيمان عندهم يتكون من هذه الأمور الثلاثة.

أما المرجئة فيقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، والأعمال لا تدخل فيه.

وبعضهم يقول: شرط كمال.

وبعضهم يقول: شرط وجوب، ولكنها لا تدخل في حقيقة الإيمان، فإذا كان مصداقاً بقلبه فهذا مؤمن ولو لم يؤد الأعمال، وهذا مذهب باطل؛ لأن المشركين كانوا يعرفون بقلوبهم صحة ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن أبوا أن ينطقوا بلا إله إلا الله، أبوا أن يقولوا: لا إله إلا الله.

وَأَبُوا أَنْ يَصَلُّوا وَأَنْ يَصُومُوا، وَيُزَكُّوا، وَيَحْجُوا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ معنى هذا أنهم يصدقون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن منعهم الكبر أو الحسد، أو الحمية لدينهم مِنْ أَنْ يَأْتُوا بِمَا إِلَّا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَصَلُّوا، وَيَصُومُوا، وَيُزَكُّوا، وَالْحَجَّ يَحْجُونَ وَيَعْتَمِرُونَ وهو من البقايا الباقية من دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكن ليس عندهم غيره، مقرون بالشرك، فيقولون: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ»^(١)، يلبون بالشرك، ولهذا لبي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتوحيد، فقال: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ»^(٢)، نفى الشرك وهم يقولون: لله شريك، وهم مَنْ يعبدونهم من دون الله، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وسائط بيننا وبين الله، هذا في الحج، أما الصلاة فلا يصلون، ولا يزكون، ولا يصومون، ولا يقولون: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهم في قلوبهم يعتقدون أنه رسول الله يصدقونه ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾.

(١) أخرجه مسلم (١١٨٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ» فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ».

(٢) أخرجه البخاري (١٥٤٩، ٥٩١٥)، ومسلم (١١٨٤): عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهْلُ مُلَبَّدًا يَقُولُ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»، لَا يَزِيدُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ.

اليهود والنصارى أيضًا يصدقون أنه رسول الله ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، فهم يعترفون أنه رسول الله بقلوبهم، ولكن أبوا أن ينطقوا بألسنتهم وأبوا أن يتبعوه، فلم يكن التصديق بالقلوب كافيًا كما تقوله المرجئة.

وليس هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان فقط؛ كما تقوله طائفة من المرجئة، وهم مرجئة الفقهاء، يقولون: الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالقلب، ولو لم يعمل. فيلغون العمل، ولا يدخلونه في الإيمان، جاؤوا باثنين وتركوا الثالث، قالوا: إن العمل ليس بضروري ما دام أنه ينطق ويعتقد فيكفي هذا، وهذا مذهب باطل أيضًا، لا بد من الأعمال، والله دائماً يقرن الإيمان بالعمل ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ما قال: ﴿ءَامِنُوا﴾ فقط، بل قال: ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فلا يكون إيمان إلا بعمل، فالإرجاء مذهب باطل بجميع أقسامه.

والأشاعرة جاؤوا بواحد وتركوا اثنين، فيقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب ولو لم ينطق بلسانه، فمن صدق بقلبه فهو مؤمن حتى ولو ما يتكلم.

والحق هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو مأخوذ من الكتاب والسنة، أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

قوله: (يزيد بالطاعة)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] دل على أن الإيمان يزيد، وأهل الضلال يقولون: لا يزيد بل هو شيء واحد في القلب. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤] فذكر الأعمال، وحصر الإيمان في هؤلاء ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾، ذكر أقوالاً، وذكر أعمالاً: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ووجل القلوب، هذا هو الإيمان، فدل على أنه يزيد بالطاعة، فيزيد بالصلاة، ويزيد بالزكاة، ويزيد بتلاوة القرآن، فهو يزيد، وقال تعالى: ﴿وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، دل على أن الإيمان يزيد وكذلك ينقص، بدليل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، فدل على أن الإيمان له أعلى، وله أدنى، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢)، دل على أن الإيمان يضعف وينقص، وفي الحديث: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٥٧) (٣٥) - واللفظ لمسلم -، من حديث أبي هريرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٧٨) (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَخْرَجَهُ مِنَ النَّارِ^(١)، فدل على أن الإيمان ينقص حتى يكون مثل حبة الخردل، فالناس ليسوا سواء في الإيمان، بعضهم أقوى إيماناً من بعض.

المرجئة يقولون: أهله في أصله سواء. ويقولون: لا فرق بين إيمان أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإيمان الفاسق من الناس، كلهم مؤمنون.

أما أهل السنة فيقولون: هذا إيمانه يعدل الجبال، وهذا إيمانه يعدل مِثْقَال ذرة أو حبة من خردل، لا يسوى بينهم.

هذا معنى قولهم: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كلما أطاع المسلم ربه ازداد إيماناً، وكلما مال عصي ربه نقص إيمانه، هذا هو المذهب الحق، وهذا هو تعريف الإيمان التعريف الصحيح.



(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٦) (١٩٣)، واللفظ له، من حديث أنس

وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجهه الشريعة
المحمدية الطاهرة.

— — — — — الشَّرْح — — — — —

ويرى الشيخ كغيره من أهل السنة والجماعة وجوب الأمر بالمعروف،
والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]،
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وغير ذلك من الآيات
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، فجعل من صفاتهم
أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى
عن المنكر هذا من المنافقين، قال تعالى: ﴿الْمُتَفِقُونَ وَالْمُتَفَقِتُ بَعْضُهُمْ
مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]،
فهم بالعكس، وها هم الآن يأمرون بالمنكر، بل يأمرون بكل منكر، ويدعون
إليه، ويدعون المسلمين إلى أن يتخلوا عن دينهم، ويسمون التمسك بالدين
تشددًا وغلًا، فيقولون: لا بد أن يترك المسلمون هذا، ولا بد أن تتمرد النساء
ويتركن الحجاب، اتركوا الولاء والبراء واجعلوا الناس سواء ما بينهم فرق.

هذا أمر بالمنكر، هم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف دائماً وأبداً، عكس المؤمنين فإنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الدين، ولا بد منه في الإسلام، فإذا وُجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا علامة نجاة الأمة، وإذا فُقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا علامة هلاك الأمة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]، قليل هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأنجاهم الله من العذاب، ﴿فَلَمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿[الأعراف: ١٦٥]، فلا ينجو إلا أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر فهو إما منافق ليس في قلبه إيمان، وإما مؤمن ضعيف الإيمان، وإذا هلك أهل المنكر يهلك معهم؛ لأنه لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر بحسب استطاعته؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلِبِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١)، وفي رواية: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»^(٢)، فدل على أن الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر هذا

(١) سبق تخریجه (ص ٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠) (٥٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتُلُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّمَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ».

هالك مع الهالكين، فلا بد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تحصل النجاة إلا بوجود هذا الأمر، فإذا فقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حق على الناس الهلاك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقول الشيخ: (على ما توجبه الشريعة)، هذارد لقول الخوارج والمعتزلة: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الخروج على ولاية الأمور، وشق عصا الطاعة، وتفريق الجماعة، وسفك الدماء، بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا لا توجبه الشريعة، بل تنهى عنه الشريعة، وليس هذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم يسمون الخروج على ولاية الأمور، وشق عصا الطاعة، واستباحة دماء المسلمين وتكفيرهم، يسمون هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا انحراف في هذا المسمى العظيم؛ ولهذا يقول الشيخ وغيره من أهل السنة: (على ما توجبه الشريعة)؛ كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية^(١)؛ لأجل ألا يُعتقد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما اعتقده الخوارج والمعتزلة، الذين يكفرون مرتكب الكبيرة من المؤمنين، ويسمون هذا من إنكار المنكر، وهذا خلاف ما توجبه الشريعة، وهو غلو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فيجب التنبه لهذا، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلِبِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلْيُكَلِّمِ بِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»، هذه كيفية الأمر بالمعروف

(١) انظر العقيدة الواسطية (ص ٤٧).

والنهي عن المنكر حسب الاستطاعة، فإذا لم تستطع، فأنت لست مكلفاً بذلك، إلا أنك لا بد أن تنكره بقلبك، وتعتزل أهله وتبتعد عنهم.

أما الذين يحملون السلاح في وجوه المسلمين، ويقولون: هذا هو الأمر المعروف والنهي عن المنكر. فهذا مذهب الخوارج، ومذهب المعتزلة، أهل الضلال.

فهذا هو القيد الذي أراده أهل العلم بقولهم: (على ما توجبه الشريعة).



فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشغل البال لتطلعوا على ما عندي، والله على ما نقول وكيل، ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم، قد وصلت إليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المتتمين للعلم في جهنكم.

————— ❦ ————— الشرح ❦ —————

يُحَاطَبُ أهل القصيم الذين سألوه عن عقيدته، يقول: (هذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشغل البال)؛ لأنه رَحِمَهُ اللهُ مشغول بأعماله الجليلة في الدعوة، والتعليم، وأمور عظيمة قام بها رَحِمَهُ اللهُ، فهو كتب هذا المختصر جواباً على سؤالهم، وبسطه موجود في كتب العقيدة المبسوبة؛ كالعقيدة الواسطية، والعقيدة الطحاوية وشرحها.

وقوله: (لتطلعوا على ما عندي)؛ لأنه اتهم بأشياء، ورُمي بأشياء هو منها برئ، فهو بيّن عقيدته ليرد على خصومه، ويكذبهم فيما يقولون عنه رَحِمَهُ اللهُ.

وقوله: (والله على ما نقول وكيل) يشهد الله على ذلك، وهذا من صدقه رَحِمَهُ اللهُ كما أنه في بداية هذه العقيدة أشهد الله وملائكته ومن حضره من المؤمنين على ما تضمنته.

وقوله: (ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم)، لما ذكر عقيدته، أراد أن يرد على من اتهموه بتهم هو منها برئ، وهذه التهم لا يسلم منها نبي، ولا أتباع الأنبياء، كلهم يتهمون إذا

دعوا إلى الله، وأنكروا ما عليه أهل الباطل، توجه إليهم التهم، بأنهم يريدون الملك، يريدون الرئاسة، يريدون الأموال، يريدون الرياء والسمعة، وأنهم سحرة، وأنهم مجانين، وأنهم يريدون كذا وكذا؛ كما هو مذكور في القرآن من أقوال الكفار في اتهام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، خصوصاً نبينا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اتهموه بأنه شاعر، وأنه مجنون، وأنه مُعَلَّمٌ، وأنه كذاب، وأنه يريد التُّرَّاسَ على الناس، فكيف بمن دونه من أهل العلم؟ مثل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لما دعا إلى دعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتهموه، وكذبوا عليه وافتروا عليه، وأكاذيبهم مدونة، ومردود عليها - والله الحمد - في كتب ورسائل تتضمنها «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، وتضمنتها كتب مستقلة مثل: «مصباح الظلام فيمن كذب على الشيخ الإمام واتهمه بتكفير أهل الإسلام» للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ، و«الرد على داود بن جرجيس العراقي فيما كتب من الباطل»، والرد على دحلان في كتاب اسمه «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»، ودحلان هذا هو مفتي أهل مكة، وكان خرافياً أتى بشبه على دعوة الشيخ، وصار يكذب عليه، وألف كتاباً سماه (الدرر السنية في الرد على الوهابية)، وذكر فيها افتراءات على الشيخ، فرد عليه عالم من علماء الهند هو محمد بشير السهسواني رَحِمَهُ اللَّهُ بكتاب سماه «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»، وهو مطبوع موجود، ومثل كتاب «غاية الأمان في الرد على النبهاني: للشيخ محمود شكري الألوسي.

ومن افتراءات دحلان يقول: إن ابن عبد الوهاب كان يضمير يريد أن يدعي النبوة، لكن لما رأى أن الناس لن يصدقوه، كتم هذه الفكرة، وإلا فهي

في نفسه. فكأن دحلان يعلم ما في القلوب، ويعلم الغيب، إلى غير ذلك من الافتراءات المضحكة، فليس الشيخ هو الوحيد الذي اتهم وشبه على دعوته، إذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام تناولهم شيء من الاتهامات، فأتباعهم من باب أولى، قال تعالى لنبيه: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [فصلت: ٤٣].

قوله: (سليمان بن سحيم)، هذا من خصوم الشيخ في وقته، وهو مطوع معكال، حارة في الرياض معروفة بهذا الاسم إلى الآن، كان يجتمع في هذه الحارة أناس من الخرافيين ومنهم هذا، كذب على الشيخ وكتب رسالة تُضحك الناس في الاتهامات والكذب، والشيخ رد على افتراءات ابن سحيم في رسالة موجودة في رسائل الشيخ، وأشار إليها هنا.

وهذه إشارة فقط، وإلا فالرد المفصل في رسالة مستقلة على سليمان بن سحيم، كتب إليه: (من محمد بن عبد الوهاب إلى سليمان بن سحيم، أما بعد: فقد بلغني أنك تقول كذا وتقول كذا..) وكل فرية يرد عليها^(١).

قوله: (قد وصلت إليكم)، يعني كأنه رَحِمَهُ اللهُ يستشف أن سؤال أهل القصيم له عن عقيدته سببها رسالة ابن سحيم، فهم لما جاءتهم رسالة ابن سحيم كتبوا إلى الشيخ يسألونه عن عقيدته، وهذا هو الواجب، فالواجب التثبت، فهم أحسنوا صنعا في هذا، إذا بلغك عن شخص أنه يقول كذا، ويقول كذا، فالواجب أنك تثبت، قال تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ

(١) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المجلد الثالث، الرسائل الشخصية، الرسالة الثالثة عشر (ص ٥١)، والرسالة الرابعة والثلاثون (ص ١٢٥).

فَاسْقُ بَنِيَّ فَتَيِّنُوا ﴿﴾، يعني: تثبتوا ﴿﴾ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا
فَعَلْتُمْ نَدِمِينَ ﴿﴾ [الحجرات: ٦].

فليت طلبه العلم الآن والشباب ينتهجون هذا المنهج، ويتثبتون ويتركون
هذا التحارش بينهم، وهذا التراشق بينهم؛ لأنهم إخوان وطلبة علم، عقيدتهم
ولله الحمد واحدة، فلو يتركون هذا التراشق وهذه الاتهامات ويتثبتون فيما
بينهم، وإذا ثبت شيء مما قيل يتناصحون فيما بينهم ولا يتخذونه تشهيراً أو
اتهامات وتراشق بالكلام، هذا لا يجوز أبداً، فالواجب الثبوت فإذا ثبت فإنه
يُنَاصَح مَنْ ثَبِتَ عَلَيْهِ الْخَطَأَ وَالْمُخَالَفَةَ؛ لأن الإنسان ليس معصوماً.

هناك شخص آخر اسمه عبد الله بن سحيم^(١) من تلاميذ الشيخ وهو
رجل طيب، فلا يشتبه عليكم عبد الله بن سحيم بسليمان بن سحيم.



(١) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المجلد الثالث، الرسائل الشخصية، الرسالة
الحادية عشر (ص ٣٥)، والرسالة العشرون (ص ٧٢)، والدرر السنية (٢/ ٣٩، ٣/ ٥).

والله يعلم أن الرجل افترى عليّ أموراً لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي،
فمنها:

قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وإني أقول إن الناس من ستمائة
سنة ليسوا على شيء.

— — — الشرح — — —

هل صحيح أن الشيخ يبطل كتب المذاهب الأربعة؟ هذا من أعظم
الكذب، الشيخ تتلمذ على مذهب الحنابلة، ولا يجمد على مذهب الحنابلة بل
يأخذ ما يقوم عليه الدليل من مذهب الشافعي أو مذهب مالك أو مذهب
أبي حنيفة، هذا منهج الشيخ، وهو في الأصل على مذهب الإمام أحمد، ولكن
في الإفتاء يأخذ ما ترجح بالدليل سواء من مذهب الإمام أحمد أو من غيره،
لا يتعصب وإنما يريد الحق، هذا منهجه في الفتوى والتعليم، يأخذ بما ترجح
بالدليل من أي مذهب من المذاهب الأربعة، لكنه لا يخرج عن المذاهب
الأربعة.

فقول ابن سحيم: إن الشيخ (مبطل كتب المذاهب الأربعة). هذه كذب؛
لأنه رَحِمَهُ اللهُ ما خرج عن المذاهب الأربعة، بل هو يستفيد منها ويُفتي بما ترجح
بالدليل منها، سواء وافق مذهبه الحنبلي أو لم يوافق؛ لأنه يريد الحق.

وقوله: (إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء)، يعني: أنه يُكفّر
الناس، هذا من افتراءات ابن سحيم أن الشيخ يُكفّر الناس، لماذا يُكفّر

الناس؟ لأنه يدعو إلى التوحيد، وينهى عن الشرك، فهو بهذا -يزعمون- أنه يكفر الناس، وهو إنما يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك وما كفر الناس، هو ما كفر إلا من ثبت كفره بالدليل من الكتاب والسنة، كما جاء في النواقض العشرة التي كتبها.



وإني أدعي الاجتهاد، وإني خارج عن التقليد.

— — — الشَّرْحُ — — —

(وإني أدعي الاجتهاد)، يعني يقولون عنه أنه يدعي أنه مستقل في الاجتهاد، يضاهي الأئمة الأربعة، وهذا كذب، فالشيخ حنبلي، ولكنه لا يتعصب لمذهب إمامه، وإنما يأخذ ما ترجح بالدليل ولو كان في غير مذهب إمامه؛ لأنه يريد الحق، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهما من المحققين، فهم لا يتعصبون وإنما يأخذون بما قام عليه الدليل، لكن لا يخرجون عن المذاهب الأربعة التي هي مذاهب الأئمة، التي درست وعُرفت وحُررت، وتوارثها المسلمون جيلاً بعد جيل، فهو لا يدعي الاجتهاد المطلق، يعني: لا يدعي أنه في مصاف الأئمة الكبار: كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والأوزاعي، ولكنهم يكذبون عليه.

قوله: (خارج عن التقليد) وهو قبول قول العالم بدون معرفة دليله، والتقليد على قسمين:

الأول: تقليد أعمى بأن يُتعصب لقول العالم ولو كان مخالفاً للدليل، فهذا يخرج عليه الشيخ محمد وغيره.

الثاني: التقليد بالحق، كأن تأخذ قول العالم إذا وافق الدليل، فهذا تقليد بحق، وهذا اتباع لأهل الحق، يسمونه تقليداً، أو يسمونه اتباعاً،

فالمعنى واحد، يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]، هذا اتباع بالحق ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فهذا يُسمى اتباعاً، فمن كان على الحق، فنحن نتبعه.



وإني أقول إن اختلاف العلماء نقمة.

— ❦ — الشرح ❦ —

هذا كذب على الشيخ؛ لأن اختلاف العلماء في أمور الفروع والاجتهاد ليس نقمة، العلماء اجتهدوا وبحثوا، فإن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطؤوا فلهم أجرٌ واحد، فالاجتهادُ مطلوب، والاختلاف فيه لا يُذم، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يختلفون في الفتوى، كُلُّ يقول بحسب ما ظهر له من الدليل، فهذا النوع من الاختلاف محمود؛ لأنه بحثٌ عن الحق.

أما الاختلاف المذموم فهو الاختلاف في الحق، فلا يجوز الاختلاف في الحق بعد ما تبين، بل يجب أخذ الحق، ولا تجوز مخالفته.

فالاختلاف على قسمين:

الأول: اختلاف مذموم، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، فالتفرق والاختلاف مذمومان، فالذي يسبب الارتباك في الحق، والتعصب للباطل مذموم.

الثاني: الاختلاف الذي يُبحث فيه عن الحق، فهذا محمود، من أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ واحد، وإذا علمنا أنه أخطأ فنحن لا نأخذ بقوله بل نأخذ بقول مَنْ أصاب، هذا هو المطلوب.

ولهذا الفقهاء يقولون: لا إنكار في مسائل الاجتهاد، مثلاً: تحية المسجد وقت النهي، بعض العلماء يرى أنها تُصلى عملاً بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رُكْعَتَيْنِ»^(١)، قالوا: هذا عام في أوقات النهي وفي غيرها؛ لأنها من ذوات الأسباب. بينما الجمهور يقولون: وقت النهي لا يُصلى فيه، لا تحية المسجد ولا غيرها من النوافل؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، ونهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس^(٢)، فقدموا عموم النهي على عموم الأمر، فمن أخذ بهذا القول فإنه لا يُنكر عليه، ومن أخذ بالقول الأول فلا يُنكر عليه؛ لأن كلاً له مستند، وهذه مسائل اجتهادية لا يجوز فيها التعادي، فالصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يختلفون - وهم إخوة - في المسائل الفرعية.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رجع من الأحزاب وجهز الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لغزو يهود بني قريظة، فقال: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»^(٣)، بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قال: مقصود الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المبادرة، وليس المقصود ألا نصلي إلا عندما نصل بني قريظة. فصلوا في الطريق، والبعض

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤، ١١٦٣) ومسلم (٦٩) (٧١٤) من حديث أبي قتادة السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٧٢)، ومسلم (٢٨٩) (٨٢٨) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَادْعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَادْعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ، وَلَا تَحْتَبُوا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، أَوْ الشَّيْطَانِ».

(٣) أخرجه البخاري (٩٤٦، ٤١١٩)، ومسلم (٦٩) (١٧٧٠) بلفظ: «الظُّهْر»، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الآخر قالوا: الرسول يقول: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»، فأخروا العصر إلى أن وصلوا إلى بني قريظة، فلما سألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينكر على الفريقين؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهم له مأخذ من الدليل، فالاجتهاد من هذا النوع لا إنكار فيه، ولا يُقال: إنه نقمة، بل يُقال: إنه اجتهاد وبحث عن الحق.



وإني أكفر من توسل بالصلحين، وإني أكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق، وإني أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهدمتها.

— — — — — الشَّرْحُ — — — — —

قوله: (أني أكفر من توسل بالصلحين)، هذا الحكم على الإطلاق ليس بصحيح، فالتوسل فيه تفصيل: إن كان يصرف شيئاً من العبادة لمن يتوسل به؛ كعباد القبور الذين يذبحون للأموات، وينذرون لهم، ويستغيثون بهم، فهذا شرك أكبر؛ لأنه عبادة لغير الله، أما إن كان لا يصرف لهم شيئاً من العبادة، وإنما يتوسل إلى الله بهم، أي: بواسطتهم، فهذه بدعة، وليست كفرًا، كالسؤال بالجاء، أو بحق فلان، أو بنبيك، أو بعبدك فلان من غير أن يصرف له شيئاً من العبادة، وإنما جعله واسطة بينه وبين الله في قبول دعائه، فهذه بدعة؛ لأن الله أمرنا بدعائه بدون اتخاذ واسطة بيننا وبينه.

فقولهم: إن الشيخ يُكفر بالتوسل. مطلقًا، هذا كذب؛ لأن الشيخ يُفصل في هذا.

وقوله: (وإني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق)، هذه مسألة تكفير المعين؛ كأن الشيخ لا يرى تكفير المعين، والبوصيري كلامه كفر، كقوله يخاطب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١):

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ	سِوَاكَ عِنْدَ حُدُوثِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ آخِذًا يَوْمَ الْمَعَادِ يَدِي	صَفْحًا وَإِلَّا فَقُلْ: يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ

(١) انظر: ديوان البوصيري (ص ٢٤٨).

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ
فَإِنَّ لِي ذِمَّةَ مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ

إلى آخر ما قال في البردة، وهذا كفر، لكن الشخص قد يكون ما بلغته الحجة، أو يكون متأولاً، فلا يكفر حتى تُقام عليه الحجة، وأيضاً هو لا يعلم ما ختم له به.

قوله: (واني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهدمتها)، وهذا من الكذب على الشيخ؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلوم أنه دُفن في بيته محافظة عليه من الغلو، وبيته له جدران، وله سقف، فالسقف موجود من وقت دفنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غاية ما هنالك أنه أزيل السقف وجُعل على شكل قبة، فالشيخ لا يرى أن هذا منكر، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفن في بيته، واستمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقبوراً في بيته حافظاً عليه من الغلو؛ كما تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما ذكرت نهى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغلو في القبور: «وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»^(١)، فدُفن في بيته محافظة عليه من الغلو، فيتهمون الشيخ، ويجعلون قبة الرسول مثل القباب التي على القبور المبنية عليها تعظيماً لها، وهذا غلط، القباب المبنية على القبور مخالفة للشرع،

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٥٨١٥)، ومسلم

(٥٢٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ حَيْصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحْذَرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا».

يعني بأن يُدفن الميت ويُقام على قبره بناية وقبة، أو يُجعل مسجداً، هذا الذي نهى عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفضل قرون الأمة كانوا يدفنون في البقيع، ولا يُجعل على قبورهم شيء، وإنما الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عُزل وجُعِل في بيته حافظاً عليه من الغلو، وفرق بين ما بني عليه غلوّاً فيه وبين ما دفن في بيته حافظاً عليه من الغلو.

فالبناء على القبور تعظيماً لها منهي عنه، وهو وسيلة من وسائل الشرك، وما يجعل العوام يتعلقون بها، لكن قبر الرسول ما بُني عليه، وإنما دُفن في بيته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعرفنا العلة: أنه لأجل المحافظة عليه، ما رأيكم لو كان الرسول مدفوناً في البقيع، ماذا يكون عنده من الزحام والغلو، وفعل الجاهل؟ ولكن الله أجاب دعاء نبيه فقد قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»^(١)، فأجاب الله دعاءه ودُفن في بيته محافظة عليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢):

وَدَعَا بِلَا يَجْعَلَ الْقَبْرَ الَّذِي	قَدْ ضَمَّهُ وَثَنًا مِنَ الْأَوْثَانِ
فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دُعَاءَهُ	وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ جُودَرَانِ
حَتَّى غَدَتْ أَرْجَاؤُهُ بُدْعَائِهِ	فِي عِزَّةٍ وَحِمَايَةٍ وَصِيَانِ

هذا الفرق بين قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبر غيره مما بني عليه، فلا يُشْتَبه علينا هذا بهذا، ونقول: قبر الرسول مبني عليه، وعليه قبة، فعلى هذا يجوز البناء على القبور الأخرى وجعل عليها قباب؛ كما يقوله الخرافيون.

(١) أخرجه مالك (٨٥)، وأحمد (١٢/٣١٤)، وابن أبي شيبة (٣/٣٤٥)، والبخاري (١٢/٢١٦)، (١٦٣/١٤).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/٣٥٢).

ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابًا من خشب،
وإني أحرم زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما،
وإني أكفر من حلف بغير الله.

— — — — — الشرح — — — — —

وهذا من الكذب على الشيخ، أنه يقول: لو أقدر على أخذ ميزاب الكعبة؛
لأن ميزاب الكعبة مصنوع من الذهب، يقولون عن الشيخ: أنه يقول: لو أقدر
أخذته، وجعلت مكانه ميزابًا من خشب. وهذا كذب على الشيخ، ولا مانع
من أنه يُجعل ميزاب الكعبة من الذهب؛ لأن الذهب لا يخرب ولا يتغير، أما
لو كان من الخشب لأكلته الأرضة، وتغير، فالشيخ ما قال في ميزاب الكعبة
شيئًا أبدًا، ولكن اتهموه بهذا، حتى قالوا: إنه يقول: إن عصاي هذا أفضل من
الرسول؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميت ولا ينفع أحدًا، وعصاي هذا أنتفع
به واضرب به. هذا من أعظم الكذب على الشيخ.

كذلك زعموا أن الشيخ حَرَّمَ زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا غير
صحيح، بل كان رَحِمَهُ اللَّهُ يزور قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقبر الرسول يُزار كما
تُزار القبور، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»^(١)، فَمِنْ

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٣٥)، والترمذي (١٠٥٤)، واللفظ له، والنسائي (٢١٧٠)، وأحمد
(١١٣/٣٨)، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ
كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَقَدْ أُذِنَ لِمُحَمَّدٍ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ
الْآخِرَةَ».

ضَمَّنَ ذَلِكَ قَبْرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُزَارُ وَيُسَلَّمُ عَلَيْهِ؛ كَمَا تُزَارُ الْقُبُورُ وَيُسَلَّمُ عَلَيْهَا، فَهُوَ لَمْ يَنْكَرِ الزِّيَارَةَ الشَّرْعِيَّةَ، وَإِنَّمَا يُنْكَرُ الزِّيَارَةَ الْبَدْعِيَّةَ أَوِ الشَّرَكِيَّةَ لِقَبْرِ الرَّسُولِ وَلِغَيْرِهِ، فَالَّذِي يَزُورُ الْقُبُورَ لِيَدْعُو الْأَمْوَاتَ، وَيَسْتَغِيثُ بِأَصْحَابِ الْقُبُورِ وَيَتَبَرَّكُ بِهَا، وَيَتَبَرَّكُ بِتَرَابِهَا، هَذَا هُوَ الَّذِي يَمْنَعُهُ الْعُلَمَاءُ - الشَّيْخُ وَغَيْرُهُ - أَمَّا الزِّيَارَةُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي يُقْصَدُ مِنْهَا السَّلَامُ عَلَى الْمَيِّتِ وَالِدَعَاءُ لَهُ، وَالْإِعْتِبَارُ بِالْقُبُورِ فَهَذِهِ لَا يَنْكَرُهَا أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

فَالشَّيْخُ يُنْكَرُ الزِّيَارَةَ الشَّرَكِيَّةَ وَالْبَدْعِيَّةَ لِلْقُبُورِ، وَلَا يَنْكَرُ الزِّيَارَةَ الشَّرْعِيَّةَ، وَلَكِنْ هُمْ يَلْبَسُونَ عَلَى النَّاسِ بِهَذَا الْكَلَامِ.

قَوْلُهُ: (وَإِنِّي أَنْكَرُ زِيَارَةَ قَبْرِ الْوَالِدَيْنِ وَغَيْرِهِمَا)، كَذَلِكَ هَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يَكْفُرُ الَّذِينَ سَبَقُوهُ، فَيَقُولُ لِلنَّاسِ: لَا تَزُورُوا وَالِدَيْكُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ. وَهَذَا كَذِبٌ، فَالشَّيْخُ لَا يَدْرِي عَنِ الَّذِينَ مَاتُوا وَعَمَّا مَاتُوا عَلَيْهِ، وَالْأَصْلُ إِحْسَانُ الظَّنِّ بِأَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ، فَهَذَا مِنَ الْكُذْبِ عَلَى الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَوْلُهُ: (وَإِنِّي أَكْفَرُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ)، كَذَلِكَ الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ»^(١)، وَلَكِنْ لَيْسَ مَعْنَاهُ الْكُفْرُ الْمَخْرَجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَإِنَّمَا هُوَ كُفْرٌ أَصْغَرُ، وَشُرْكٌ أَصْغَرُ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ،

= وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٠٨) (٩٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ».

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٢٥١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٥٣٥)، وَأَحْمَدُ (٢٥٠/١٠)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ

فالذي يقول: إنه كفر أو شرك. إن كان يقصد أنه شرك أصغر وكفر أصغر فهذا صحيح؛ لأن الرسول سماه كفراً، وسماه شركاً، أما إن كان يقصد أنه الكفر المخرج من الملة فهذا باطل.



وإني أكفر ابن الفارض^(١)، وابن عربي^(٢)، وإني أحرق «دلائل الخيرات»، و«روض الرياحين»، وأسميه روض الشياطين^(٣).

— ❦ — الشرح — ❦ —

ابن الفارض صاحب المنظومة التائية في وحدة الوجود، فيها كفر وإلحاد والعياذ بالله، ولكن الشيخ لا يكفر صاحبها؛ لأنه لا يدري ماذا ختم له، ولا يدري هل بلغت الحجة أو لم تبلغه، فهو يقول: إن ما فيها إلحاد وكفر، ولكن صاحبها يتوقف فيه، هذا مذهب أهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لأحد بجنة أو نار إلا من شهد له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وابن عربي معروف، هو محيي الدين بن عربي الطائفي إمام أهل وحدة الوجود^(٤)، وابن الفارض من أتباع ابن عربي، ومع هذا فإن الشيخ لا يجزم

(١) أبو حفص عمر بن علي بن المرشد بن علي المعروف بابن الفارض، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، وكان أبوه يكتب فروض النساء والرجال وقد تكلم فيه غير واحد بسبب قصيدته التائية في السلوك على طريقة المتصوفة والتي ينعتق فيها بالاتحاد الصريح، مات ابن الفارض سنة ٦٣٢ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٤٣)، ولسان الميزان (٤/ ٣١٧).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو عبد الله الطائفي الأندلسي، ولد بمرسية سنة ستين وخمسة وانشأ بها، وانتقل إلى أشبيلية سنة ثمان وسبعين، ثم ارتحل وطاف البلدان فطرق بلاد الشام والروم والمشرق، وأقام بمكة مدة وصنف فيها كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلداً فيها ما يعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف، وله كتابه المسمى بفصوص الحكم، فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٥٦)، وشذرات الذهب (٥/ ١٩٠).

(٣) انظر: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص ٥٠٤-٥٠٥).

(٤) هم الذين يقولون بوحدة الوجود، مَذْهَبُهُمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ: أَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ؛ وَسَمَّوْنَ =

بكفرهما، وإن كانا قالا كفرًا وضلالًا وإلحادًا، ولكن تكفير المعين يحتاج إلى دليل؛ لأنه ربما أنه تاب، وربما ختم له بتوبة، فالله أعلم.

ومن الكذب على الشيخ أيضًا: قولهم: إنه أحرق دفتر دلائل الخيرات، و«دلائل الخيرات» هو كتاب في «الصلاة والسلام على خير البريات»، فيه غلو، وفيه دعاء للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كتاب فيه باطل، ولكن الشيخ لم يحرقه، ولكنه كان يوصي بقراءة الكتب المفيدة الخالية من المخالفات.

وكذلك (روض الرياحين)، هو من كتب الغلو في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن تحريقها لا يؤدي إلى نتيجة.

وافتروا على الشيخ وقالوا: سماه (روض الشياطين)، وهذا كله من الكذب على الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.



= أَهْلَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَيَدْعُونَ التَّحْقِيقَ وَالْعِرْفَانَ وَهُمْ يَجْعَلُونَ وُجُودَ الْخَالِقِ عَيْنَ وُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ فَكُلُّ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الْمَخْلُوقَاتُ مِنْ حَسَنِ وَقَبِيحٍ وَمَدْحٍ وَذَمٍّ إِنَّمَا الْمُتَّصِفُ بِهِ عِنْدَهُمْ: عَيْنَ الْخَالِقِ وَلَيْسَ لِلْخَالِقِ عِنْدَهُمْ وُجُودٌ مُبَايِنٌ لُؤُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ مُنْفَصِلٌ عَنْهَا أَصْلًا؛ بَلْ عِنْدَهُمْ مَا تَمَّ غَيْرُ أَصْلًا لِلْخَالِقِ وَلَا سِوَاهُ. وَمِنْ كَلِمَاتِهِمْ: لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ. فَعِبَادُ الْأَصْنَامِ لَمْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ عِنْدَهُمْ لِأَنَّهُ مَا عِنْدَهُمْ لَهُ غَيْرٌ. انظر: أمراض القلوب وشفافوها (١/ ٦٤)، والفتاوى الكبرى (١٢٢/ ٥ - ١٢٣)، والفرقان (١/ ١١٣)، ودرء التعارض (١٢٥/ ٧)، ومجموع الفتاوى (١٢١/ ٢ - ١٢٦).

جوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانه هذا بهتان عظيم. وقبله من بهت محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يسب عيسى بن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ويسب الصالحين، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥]، بهتوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيرًا في النار، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

— — — الشرح — — —

هذه المسائل التي افتروها، قال رَحِمَهُ اللَّهُ في جوابه عنها: (سبحانك هذا بهتان عظيم) كل ما قيل في هذه الكلمات فهو بهتان عظيم لم يقله الشيخ، وهو منه برئ، رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة.

وقوله: (قبله من بهت محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، (قبله) يعني: قبل ابن سحيم، من بهت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكفار والمشركين، فلي أسوة بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا بهتني ابن سحيم، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهت بما هو أعظم من هذا.

قالوا في الرسول: (أنه يسب عيسى بن مريم) وذلك لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، قالوا: محمد يسب عيسى وأمه؛ لأن عيسى عبد من دون الله فمعناه أنه يلقي في النار، ﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْرٌ هُوَ﴾ [الزخرف: ٥٨] يعنون عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ

لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١١١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿[الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]﴾، فالآية فيمن عبد وهو راضٍ، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يرض ولم يأمرهم بعبادته، بل أمرهم بعبادة الله عَزَّجَلَّ، ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٦]، فعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما دعا الناس إلى عبادة نفسه بل أنكر هذا، إنما الذين يدعون الناس إلى أن يعبدوهم هم الذين يكونون في النار مع من عبدهم.

أما عيسى وعزير وغيرهما من الأنبياء فإنهم ينكرون هذا في حياتهم، ولما ماتوا فعل الناس هذا بهم بعد موتهم، قال عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]، فالأنبياء والرسل والصالحون لا يأمرون الناس أن يعبدوهم ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكْ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩]، فنزه الله الأنبياء عن هذا الكلام، فعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما قال لهم: اعبدوني. وإنما هم عبدوه بعد موته، فلا لوم عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ورد الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾، ومنهم عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿١١١﴾ وقال في الزخرف: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧].

قالوا: إذا كانت الآلهة في النار فعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ معهم؛ لأنه معبود من دون الله. يريدون أن يردوا على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا صَرَّبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٥٨) [الزخرف: ٥٨] يعني: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَنعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، فالله رد عليهم في موضعين: في سورة الأنبياء، وفي سورة الزخرف، وهكذا القرآن يرد على أهل الباطل ويفند شبهاتهم والله الحمد.

فإذا كانوا اتهموا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه يُكْفِّرُ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه يقول إنه في النار؛ لأن النصراني عبده، فكيف لا يتهمون الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟!

(بهتوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيرًا في النار)؛ لأنهم عُبِدُوا من دون الله، والآية تقول: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾، يقولون: هذه عامة للملائكة ولعيسى وعزير والصالحين.

الجواب: أن هؤلاء لم يريدوا أن يُعبدوا من دون الله، بل كانوا ينكرون هذا في حياتهم، فهم مبعدون عن النار، (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون) وهم عيسى وعزير ومن سبقت له الحسنى من الله فإنه مبعد من النار، ولو عُبد بعد موته فهذا لا يضره؛ لأنه كان ينكره يوم أن كان حيًّا.

ونبيننا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُبد بعد أن مات، يعبدُه الخرافيون والمشركون، هل هذا يُذم به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو يُقال: إن محمدًا في النار؛ لأنه عُبد من دون الله؟ لا؛ لأنه كان ينكر هذا في حياته، ويجاهد عليه بالسيف، أما كونه يُعبد بعد موته فلا يرجع عليه في ذلك ملامة.

وأما المسائل الأخر وهي:

أني أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى (لا إله إلا الله)، وأني أعرف من يأتيني بمعناها، وأني أكفر الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله، وأخذ النذر لأجل ذلك، وأن الذبح لغير الله كفر والذبيحة حرام.

فهذه المسائل حق وأنا قائل بها، ولي عليها دلائل من كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن أقوال العلماء المتبعين كالأئمة الأربعة، وإذا سهل الله تعالى بسطت الجواب عليها في رسالة مستقلة إن شاء الله تعالى.

ثم اعلّموا وتدبروا قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ...﴾ [الحجرات: ٦] الآية.

— — — الشرح — — —

قوله: (لا يتم إسلام عبد حتى يعرف معنى لا إله إلا الله)، هذا صحيح، والشيخ رحمه الله يُعلم الناس معنى (لا إله إلا الله) بأن معناها لا معبود بحق إلا الله، وما سواه فعبادته باطلة وشرك، هل هذا يُلام الشيخ عليه؟! الجواب: لا، بل هذا منهج الأنبياء.

وقوله: (وأني أكفر الناذر)، هذا أيضًا صحيح، مَنْ نذر لغير الله فإنه كافر؛ لأنه صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله، فلا لوم على الشيخ ولا على غيره إذا كفره بذلك. وقوله: (وأن الذبح لغير الله كفر)، هذا صحيح؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢)

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وفي السنة: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»^(١).

قوله: (والذبيحة حرام)؛ لأنها مما أهل به لغير الله، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ويقول: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣].

وقوله: (فهذه المسائل حق وأنا قائل بها)؛ لأن هذا مقتضى الكتاب والسنة، فلا لوم على الشيخ، بل يُشكر على هذا ويُدعى له، ولكنهم يعدون المحاسن سيئات.

وبهذا انتهى الشرح على هذه الرسالة المباركة، والله تعالى أعلم،

وصلّى الله على محمد، وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين



(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَوَى مُحَدَّثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ».

فهرس المراجع

- ◆ الإبانة الكبرى لابن بطة، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
- ◆ الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق فوقية حسين محمود، دار الأنصار القاهرة ١٣٩٧هـ.
- ◆ إثبات صفة العلو، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، المحقق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ١.
- ◆ إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوِجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. شرف محمود القضاة، الناشر: دار الفرقان - عمان الأردن، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ١.
- ◆ اجتماع الجيوش الإسلامية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢ (الجزء الأول دراسة من المحقق).
- ◆ الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجها البخاري ومسلم في صحيحهما، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد

ابن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١٣.

♦ الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، عدد الأجزاء: ١.

♦ الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، المؤلف: عبد القادر شيبية الحمد، سنة النشر: ١٤٣٣ - ٢٠١٢، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٤، عدد الصفحات: ٢٦٢.

♦ أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢.

♦ الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ٨.

♦ الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) تحقيق ودراسة: الجزء الأول:

د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٣.

◆ اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

◆ الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

◆ أمراض القلب وشفائها، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩ هـ، عدد الأجزاء: ١

◆ الإنباء في تاريخ الخلفاء، المؤلف: محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني، (المتوفى: ٥٨٠ هـ)، المحقق: قاسم السامرائي، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١.

◆ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى: ٩٢٨ هـ)،

المحقق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، الناشر: مكتبة دنديس - عمان،
عدد الأجزاء: ٢.

♦ الأنساب، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني،
تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى
١٩٩٨ م.

♦ الإيمان الأوسط، المؤلف: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية
الحراني أبو العباس تقي الدين، المحقق: محمود أبو سن أبو يحيى، الناشر:
دار طيبة، سنة النشر: ١٤٢٤، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ١.

♦ الإيمان، المؤلف: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني تقي
الدين، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي،
سنة النشر: ١٤١٦ - ١٩٩٦، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٥.

♦ البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي
ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق:
صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

♦ البدء والتاريخ، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو
٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، عدد الأجزاء: ٦.

♦ البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي
البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر:
دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

♦ تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة
١٤٠٩ هـ.

- ◆ تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٦.
- ◆ تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٨٠ (٧٤ و ٦ مجلدات فهارس).
- ◆ تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١٠.
- ◆ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ٤.
- ◆ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٧١هـ) تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ، عدد الأجزاء: ١.
- ◆ التذكرة في علوم الحديث، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، قدم لها

وضبط نصها وعلق عليها: علي حسن عبد الحميد، الناشر: دار عمّار،
عمّان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

♦ ترتيب المدارك وتقريب المسالك، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض
ابن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤ هـ)، جزء ١: ابن تاويت الطنجي،
١٩٦٥ م، جزء ٢، ٣، ٤: عبد القادر الصحراوي، ١٩٦٦ - ١٩٧٠ م،
جزء ٥: محمد بن شريفة، جزء ٦، ٧، ٨: سعيد أحمد أعراب ١٩٨١ -
١٩٨٣ م، الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى،
عدد الأجزاء: ٨

♦ التعريفات، لعل بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت
- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

♦ تفسير ابن سعدي، وهو تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
مؤسسة الرسالة، بيروت.

♦ التفسير البسيط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي
الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، المحقق: أصل
تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت
لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ،
عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٤) وجزء للفهارس).

♦ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن
جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:

٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.

◆ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

◆ تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

◆ تفسير عبد الرزاق، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ، عدد الأجزاء: ٣.

◆ تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ١.

عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

♦ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً (في ١٠ مجلدات).

♦ جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، عدد الأجزاء: ١.

♦ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٦.

♦ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانة - كراتشي، عدد الأجزاء: ٢.

- ❖ حادي الأرواح لابن القيم، تحقيق: بشير عون، ط مكتبة المؤيد.
- ❖ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: ١٠.
- ❖ خلق أفعال العباد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض، عدد الأجزاء: ١.
- ❖ الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: ٨.
- ❖ درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٠.
- ❖ الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ١٦.

- ◆ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ، عدد الأجزاء: ٧.
- ◆ الديباج المذهب في مصطلح الحديث (مطبوع مع شرح منلا حنفي عليه)، المؤلف: يُنسب لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، مصحح بمعرفة لجنة: برئاسة الشيخ حسن الإنبائي، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بمصر، باشر طبعه: محمد أمين عمران، عام النشر: ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م، عدد الأجزاء: ١.
- ◆ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، المؤلف: إبراهيم بن علي ابن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢.
- ◆ ديوان البوصيري، المؤلف: شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الجنوني الصنهاجي (٦٠٨ - ٦٩٦ هـ).
- ◆ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي، الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ١.

- ◆ الرد على الجهمية، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدى (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد ناصر الفقيهى، الناشر: المكتبة الأثرية - باكستان، عدد الأجزاء: ١
- ◆ الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي، تحقيق: د. بدر بن عبد الله البدر. دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
- ◆ الرسالة الماتريدية، رسالة ماجستير للشيخ شمس الدين الأفغانى بالجامعة الإسلامية.
- ◆ الرسائل الشخصية، اسم المؤلف: محمد بن عبد الوهاب، دار النشر: مطابع الرياض - الرياض، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومى، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب.
- ◆ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.
- ◆ الرُّوضُ الْأَنْفُ فِي شَرْحِ السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَام، المؤلف: أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ السُّهَيْلِي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السَّلامى، الناشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٧.
- ◆ الروض الداني (المعجم الصغير)، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق:

- محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٢.
- ♦ زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- ♦ سمط النجوم العوالي، عبد الملك بن عبد الملك الشافعي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩ هـ.
- ♦ السنة لعبد الله بن أحمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني. دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- ♦ السنة للخلال - دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض.
- ♦ السنة، اسم المؤلف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: سالم أحمد السلف.
- ♦ السنة، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك ابن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠، عدد الأجزاء: ٢.
- ♦ سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.

◆ سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

◆ سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

◆ سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ابن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبداللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٥.

◆ السنن الصغير للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩ م، عدد الأجزاء: ٤.

◆ السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، المحقق: حسن عبد المنعم

شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: (١٠ و ٢ فهارس).

◆ السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

◆ سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور الخراساني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية - الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م.

◆ سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ١٨.

◆ السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣ هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م، عدد الأجزاء: ٢.

◆ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩ هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١١.

- ◆ شرح (التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي)، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢.
- ◆ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، اسم المؤلف: قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، دار النشر: دار الفكر - سوريا - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ◆ شرح أصول اعتقاد أهل السنة؛ لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.
- ◆ شرح السنة، المؤلف: أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري (المتوفى: ٣٢٩هـ)، عدد الأجزاء: ١.
- ◆ شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرع الصالحى الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: ١.
- ◆ شرح العقيدة الواسطية، الشيخ/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.
- ◆ شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل،

الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،
الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

♦ شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جَرْدِي
الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، حققه وراجع نصوصه
وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه
وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي -
الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار
السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد
الأجزاء: ١٤ (١٣، ومجلد للفهارس).

♦ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف:
محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية
(المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة:
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، عدد الأجزاء: ١.

♦ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن
حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور
عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ -
١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦.

♦ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن
حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى:
٣٥٤ هـ)، المحقق: شعيب الأرْنَؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة -

بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهارس).

❖ صحيح ابن خزيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ابن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

❖ صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ٥.

❖ صريح السنة، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: بدر يوسف المعتوق، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، عدد الأجزاء: ١.

❖ الصفدية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

❖ الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.

❖ صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، المؤلف: محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي (المتوفى: ١٣٢٦هـ)، الناشر: المطبعة السلفية - ومكتبتها، الطبعة: الثالثة، عدد الأجزاء: ١.

- ◆ طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي. د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.
- ◆ الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٨.
- ◆ العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.
- ◆ العرش وما روي فيه، محمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق محمد بن حمد الحمود، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ◆ العظمة، لأبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ◆ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد ابن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥.
- ◆ عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بشير النجدي، دار الحبيب، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

- ◆ العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.
- ◆ الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرّاني الدمشقي، قدّم له وعرّف به حسين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ◆ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- ◆ فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- ◆ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م، عدد الأجزاء: ١.
- ◆ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، مطبوع، والله الحمد بشرح شيخنا العلامة/ صالح بن فوزان ابن عبد الله الفوزان - حفظه الله - في مجلدين، مكتبة الإمام الذهبي بالكويت.
- ◆ فيض التقدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم

المناعي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦، عدد الأجزاء: ٦.

◆ القاديانية دراسات وتحليل، المؤلف: إحسان إلهي ظهير، حالة الفهرسة: غير مفهرس، الناشر: إدارة ترجمان السنة - باكستان، سنة النشر: ١٤٠٤ - ١٩٨٤، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ١٦، عدد الصفحات: ٣٢٨.

◆ القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١

◆ القضاء والقدر، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الثالثة عشر، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١

◆ القيامة الكبرى، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ١

◆ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ.

- ◆ الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ◆ اللالئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، تحقيق عادل بن محمد مرسي رفاعي، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، مجلدان.
- ◆ لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
- ◆ لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.
- ◆ لمعة الاعتقاد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الصفحات: ٤٦.
- ◆ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، عدد الأجزاء: ٢.

- ◆ المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ٩ (٨ مجلد للفهارس).
- ◆ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.
- ◆ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ◆ مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، جمع: فهد السلمان. دار الشريا ١٤١٩هـ.
- ◆ مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.
- ◆ مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، المؤلف: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزؤغلي بن عبد الله المعروف بـ (سبط ابن الجوزي) (٥٨١ - ٦٥٤هـ)، تحقيق وتعليق: [بأول كل جزء تفصيل أسماء محققه]، محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار رجاوي، محمد رضوان عرقسوسي،

أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزبيق، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، عدد الأجزاء: ٢٣ (الأخير فهارس).

♦ مروج الذهب ومعادن الجوهر، المؤلف: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفى: ٣٤٦ هـ)، تحقيق: أسعد داغر، عدد الأجزاء: ٤، الناشر: دار الهجرة - قم، تاريخ النشر: ١٤٠٩ هـ.

♦ المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، عدد الأجزاء: ٤.

♦ مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: ٢٠٤ هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٤.

♦ مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧ هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ١٣.

◆ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

◆ مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، عدد الأجزاء: ١٨.

◆ مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٤.

◆ مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ٤.

❖ مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

❖ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).

❖ المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبه، عبد الله ابن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، عدد الأجزاء: ٧.

❖ المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١١.

❖ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٣.

❖ المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن

عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.

◆ المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢٥، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعة - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

◆ المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

◆ معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، عدد الأجزاء: ٦.

◆ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي الأشعري، تحقيق هلموت ريتز، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا).

◆ المقفى الكبير، المؤلف: تقي الدين المقرئ (المتوفى: ٨٤٥ هـ = ١٤٤٠ م)، المحقق: محمد اليعلاوي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ٨ (الآخر فهارس).

- ◆ الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: ٣.
- ◆ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٩.
- ◆ منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- ◆ موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ٢.
- ◆ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، عدد الأجزاء: ٤.
- ◆ النبوات، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢.

- ◆ نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (مطبوع ملحقًا بكتاب سبل السلام)، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عصام الصبابي - عماد السيد، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.
- ◆ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ٨.
- ◆ النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.
- ◆ الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٩.
- ◆ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، عدد الأجزاء: ٧.

فهرس الموضوعات

٥	مقدمة الطبعة الأولى.....
٧	مقدمة الناشر.....
١١	مقدمة الشارح.....
١٧	نبذة عن شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.....
١٩	سبب تأليف هذه الرسالة.....
٢٣	أوصاف الفرقة الناجية.....
٢٦	بيان أركان الإيمان.....
٣٠	مراتب الإيمان بالقدر.....
٣١	الإيمان بأسماء الله وصفاته.....
٣١	معنى التحريف.....
٣٢	معنى التعطيل.....
٣٣	معنى الإلحاد.....
٣٩	أقسام أهل الضلال.....
٣٩	الأصول الخمسة عند المعتزلة.....
٣٩	الفرقة الناجية وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية.....
٤٢	عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر.....
٤٣	شرح مراتب الإيمان بالقدر.....
٤٥	جبهات الجهمية.....
٤٦	حكم مرتكب الكبيرة.....
٤٧	أصناف المرجئة.....
٥١	الفرق بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان.....
٥٣	بيان وسطية أهل السنة في أبواب الإيمان.....
٥٤	تعريف الصحابي.....
٥٥	الواجب على المسلم تجاه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.....

- ٥٨.....أنواع الفرق التي ضلت في عقيدتهم في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.
- ٦٢.....القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.
- ٦٣.....تكفير العلماء للجهمية.
- ٦٦.....مذهب الأشاعرة في كلام الله تعالى.
- ٦٧.....فتنة القول بخلق القرآن في عهد المأمون.
- التنبيه على ما يقوله بعض المغرضين من أن الكلام في مسألة القول بخلق القرآن لا طائل تحتها.
- ٦٧.....
- ٦٩.....الكلام يضاف إلى من قاله مبتدئاً.
- ٧٤.....الكلام على الإيمان بأفعال الله جَلَّ وَعَلَا.
- ٧٥.....خلق أفعال العباد والرد على المعتزلة.
- ٧٦.....بيان مذاهب أهل البدع في أفعال العباد.
- ٧٨.....إثبات العلاقة بين الأسباب ومسبباتها، والرد على نفاة التعليل.
- ٨٠.....احتجاج أهل الباطل بالقدر على ترك العمل.
- ٨٣.....الإيمان باليوم الآخر.
- ٨٣.....الرد على عدد من شبهات المنكرين للمبعث.
- ٩٠.....الكلام على الإيمان بفتنة القبر ونعيمه.
- ٩٤.....البعث والنشور.
- ٩٧.....أنواع النفخات.
- ٩٨.....أهوال الحشر.
- ٩٩.....نصب الموازين.
- ١٠٠.....أصناف الناس في أخذ صحائفهم.
- ١٠١.....الإيمان بالحوض المورود وصفته.
- ١٠٤.....الإيمان بالصراط وصفته.
- ١٠٤.....أحوال الناس في المرور على الصراط.
- ١٠٦.....الشفاعة.
- ١٠٦.....الشفاعة على قسمين.

- أقسام الناس في الشفاعة..... ١٠٧
- الشفاعة ستة أنواع..... ١١١
- الشفاعات الخاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ١١٢
- شروط الشفاعة الشرعية..... ١١٧
- الأدلة على كفر تارك الصلاة..... ١١٨
- الإيمان بخلق الجنة والنار ووجودهما الآن وأنها لا تفنيان..... ١١٩
- الإيمان بالرؤية لأهل الجنة..... ١٢٢
- الرد على نفاة الرؤية..... ١٢٤
- الإيمان بأن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين والمرسلين..... ١٢٧
- من أصول الاعتقاد محبة أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي الله عنهم..... ١٣٢
- ترتيب الصحابة في الفضل..... ١٣٣
- مذهب أهل السنة والجماعة الكف عما شجر بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ..... ١٣٧
- عقيدة أهل السنة في أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ..... ١٤٠
- مبحث كرامات الأولياء..... ١٤٣
- أقسام الناس في الكرامات..... ١٤٥
- حكم الشهادة لمعين بجنة أو نار..... ١٥٠
- حكم مرتكب الكبيرة..... ١٥٢
- الجهاد مع الأئمة سواء كانوا أبرارًا أم فجارًا..... ١٥٤
- شروط الجهاد..... ١٥٥
- الرد على الحماسيين الذين يرون الخروج على أئمة الجور..... ١٥٧
- صلاة الجماعة خلف الأئمة الفساق..... ١٥٨
- خروج المسيح الدجال..... ١٥٩
- وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين ما لم يأمرُوا بمعصية..... ١٦٤
- بم تنعقد الخلافة؟..... ١٦٦
- تعريف البدعة..... ١٦٩
- هجران أهل البدع..... ١٧١

١٧٤.....	مبحث الإيمان.....
١٧٥.....	مذاهب المرجئة في الإيمان.....
١٨٠.....	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
١٨٤.....	الرد على ما اتهمه به سليمان بن سحيم.....
١٨٥.....	ردود أئمة الدعوة على المفتريين على دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.....
١٨٧.....	نصيحة لطلبة العلم في التحري والتثبت.....
١٨٧.....	الفرق بين سليمان بن سحيم وعبد الله بن سحيم.....
١٨٨.....	الرد على شبهة أن الشيخ يبطل كتب المذاهب الأربعة.....
١٨٨.....	الرد على شبهة أن الشيخ يكفر بالعموم.....
١٩٠.....	الرد على شبهة أن الشيخ يدعي الاجتهاد المطلق.....
١٩٢.....	بحث في أنواع الاختلاف: المحمود والمذموم.....
١٩٥.....	اتهام الشيخ أنه يكفر بالتوسل مطلقاً.....
١٩٥.....	مسألة تكفير المعين.....
١٩٦.....	حكم القبة التي على قبر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.....
١٩٨.....	اتهام الشيخ برغبته في أخذ ميزاب الكعبة.....
١٩٨.....	اتهام الشيخ بأنه يحرم زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....
١٩٩.....	حكم الحلف بغير الله.....
٢٠١.....	اتهام الشيخ بأنه يكفر ابن الفارض وابن عربي.....
٢٠١.....	اتهام الشيخ بأنه يحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين.....
٢٠٣.....	جواب الشيخ على هذه الاتهامات.....
٢٠٨.....	فهرس المراجع.....
٢٣٧.....	فهرس الموضوعات.....